15em Année No. 727

Lundi — 9 — 6 — 1947

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة

١٠٠ في مصر والسودان

١٥٠ في سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٢٧ « القاهرة في يوم الاثنين ٢٠ رجب سنة ١٣٦٦ — ٩ يونية سنة ١٩٤٧ » السنة الخامسة عشرة

كتـــابان قيمان

للأستاذ عباس محمود العقاد

سألتني مجلة « الصــور » في إبان الحرب العالمية : ما هي الاتجاهات التي ستغلب على الحركة الفكرية في العالم بعد الحرب الحاضرة ؟ فكان رأيي أن الحركة الفكرية في العالم كله ستتجه بعد نهاية الحرب إلى وجهتين متناقضتين في الغاية متفقتين في السبب ، وهما النزعة الروحية الدينية ، والنزعة الجنسية الحسية .

وهما كما قدمت متناقضتان في الغاية ولكنهما متفقتان في السبب ، لأنهما ترجمان إلى القلق الذي يعتور النفوس البشرية في إبان الزلازل المنيفة ، ولم يزل من دأب النفوس البشرية أن تعالج قلقها بطمأنينة الروح وثقة العقيدة ، أو بإغراق الحس في المتعة الجسدية .

وندع العالم وحركته الفكرية بعد الحرب لأنها مما يطول شرحه ولا يجزىء في بيانه مقال واحد .

ولكننا نلتفت حولنا في مصر فنرى مصداق ذلك في الوجهتين المتناقضتين معاً لهذا السبب بعينه . فأما النزعة الحسية فيكفي أن ينظر القارىء إلى الصور العارية التي تنشر في الصحف لغير مناسبة ليستدل منها على ما وراءها من النوازع النفسية ، فإن شاء أن يتجاوز ذلك إلى قراءة الموضوعات التي تقترن بتلك الصور أو الروايات والأقاصيص التي تدور عليها علم أن المصدر واحد والتعبير بالحروف والكلمات يوافق التعبير بالخطوط والأشكال

وأما النزعة الروحية فهي واضحة في انتشار الجماعات الدينية والعناية بالبحوث التي تنصرف إلى حقائق الأديان والعقائد .

وأمامنا منها الآن كتابان قيمان هما اللذان نخصهما بهذا المقال ، وهما كتاب «فصوص الحكم» لابن عربي ، وكتاب « الوجود » للأستاذ محمود أبو الفيض المنوفي . وكلاهما بحث عميق في حقيقة العقيدة وسر الوجود على الإجمال .

١ — فصوص الحكم :

وقد قام على تصحيح كتاب الفصوص ومراجعته والتقديم له الدكتور أبو العلا عفيفي أستاذ الفلسفة بجامعة فاروق الأول بالإسكندرية .

والدكتور أبو العلا عفيفي عالم ثبت متمكن من موضوعه . يعجب غاية الإعجاب بابن عربي صاحب الكتاب ، ولكن إعجابه به لا ينسيه أمانة العرض وإقرار الحق في نصابه . فهو يذكر ما للمؤلف وما عليه ، ويقدره بميزانه الصحيح فيقول « إنه فيلسوف آثر أن يهمل منهج العقل الذي هو منهج التحليل والتركيب ويأخذ بمنهج التصوير العاطفي والرمز والإشارة والاعتماد على أساليب الخيال في التعبير . ولهذا لا أرى من الصواب أن نصف مذهبه بأنه مذهب فلسفي بحت إذا اعتبرنا التفكير والترابط المنطقي

أخص صفات الفلسفة ، ولا بأنه مذهب صوفى بحت إذا اعتبرنا الوجدان والكشف أخص ميزات التصوف ، ولكنه مذهب فلسفى صوفى معاً ، جمع فيه بين وحدة التفكير وقوة الوجدان »

ولم ينس الأستاذ أن يشير إلى كلام ناقديه بل مكفريه ، ولا أن يشير إلى كلام الدافعين عنه والمتأولين لأحاجيه وألغازه ، ولكنه كان أقرب إلى جانب الرضا منه إلى جانب السخط ، ولو لم يكن كذلك لقال فيه كما قال الذهبى إنه « انعزل وجاع وفتح عليه بأشياء امتزجت بعالم الخيال والخطرات والفكرة واستحكم ذلك حتى شاهد بقوة الخيال أشياء ظنها موجودة فى الخارج ، وسمع من طيش دماغه خطاباً اعتقده من الله . ولا وجود لذلك أبداً فى الخارج » .

وقد صدق الذهبى كما صدق الدكتور أبو العلا . ولكن الذهبى كان فى صدقه أقرب إلى جانب السخط منه إلى جانب الرضا . ولا بد من الموازنة بين الجانبين .

ونحن مع اعتقادنا أن ابن عربى لم يكن بالفيلسوف المحض ولم يكن بالمتصوف المحض ، ومع إعجابنا ببعض سبحاته الروحية وشعورنا بصدق ما وصف به من طيش الدماغ — نعود فنقول إن الفلاسفة المتجردين للفلسفة فى هذا الزمان لم يبلغوا فوق مبلغه من التفرقة بين إله العبادات وإله الحقيقة المجردة ، وليس رأى « برادلى » الذى يعرفه الدكتور عفيفى جيد المعرفة من جملة أقواله فى التفرقة بين الحقائق والظاهر إلا صورة جديدة من رأى ابن عربى فى هذا الكتاب بعينه وهو كتاب الفصوص .

ومهما يكن شأن ابن عربى بين الإعجاب والانتقاص فالحقيقة التى لا مراء فيها أن مذهبه مذهب يدرسه الباحثون ولكنه لا يصلح لجمهرة المتدينين . وحسبك أن رجلاً مثل ابن خلدون فى سماحة عقله وسعة نظره يقول بإحراق كتبه وكتب أمثاله ومحو أعيانها دفعاً للمفسدة . وأحسبه لو عاد إلى مصر فى هذه الأيام لما نجا من شدة المصريين فى المحافظة ، ولا حرم من عطف الفكاهة المصرية . فقد أوشك قديماً أن يقتل فى مصر لولم ينقذه الشيخ أبو الحسن الجانى الذى أبت عليه سليقة النكتة أن ينقذه من لذعاتها . فسأله : كيف يحبس من حل منه اللاهوت فى الناسوت ! فقال الرجل وهو لا يصدق بالنجاة : يا سيدى ! قلت شطحات فى محل السكر . ولا عتب على سكران ! »

وليس العصر عصر إحراق الكتب أو تفنيدها بلغة النار والماء ؛ ولكنه العصر الذى يحاسب الكاتب بحساب النقد والبرهان . ومتى حوسب ابن عربى بهذا الحساب ففيه ما يهمل إهمالا كالإحراق والإغراق ، وفيه ما يفيد ويمتع العقول والقرائح .

وخير ما يفيد من هذا الكتاب تفسيره لوحدة الوجود ؛ لأنه أصلح من تفسيرات إخوانه فى هذه العقيدة ممن يقولون بتأليه الكون فى جميع مظاهره المادية . فليس الوجود عنده إلا الوجود الحق الذى تحجبه هذه المظاهر المادية ، وهو بهذا يقترب كل الاقتراب من عقيدة التوحيد .

٢ — الوجود :

والكتاب الثانى الذى سماه السيد أبو الفيض المنوفى « بالوجود » هو ألزم الكتب لمن يتوخى البحث المصرى فى وحدة الوجود وفى حقيقة الوجود على الإجمال .

وهو كتاب مدروس أو « مخدوم » كما يقال فى اصطلاح المؤلفين . لم يصدر باللغة العربية كتاب يحوى ما حواه فى هذا الموضوع ، ولم يكن معول المؤلف فيه على المراجع العربية وحدها بل لعل اعتماده على مراجع الفلسفة الأوربية بين قديمها وحديثها أظهر من اعتماده على مراجعنا المعهودة . لأنه قصد فيه إلى إقناع المحدثين الذين يلهجون بفلسفة العصر وأساليبه ويعرضون عن القديم لقدمه من غير بحث فيه ولا اطلاع عليه .

وأجمل ما فى الكتاب — وليس هو بالنسق النادر فيه — كلامه عن عالم العناصر الذى هو العالم البرزخى بين المادة والقوة ، فمن هذا العالم البرزخى نتحقق « أن الشيء المنظور يتحول إلى غير المنظور ويصبح هو والفكر والروح فى الخفاء سواسية ... ولا نظن أنه يوجد فرق بين النور والقوة إلا فى الألفاظ ؛ لأن الطاقة يستوى فيها أن تكون إشعاعاً أو حركة أو حرارة أو مغناطيس أو كهرباء أو غير ذلك ، ولا فرق أيضاً بين الحرارة والنور المنظور والنور غير المنظور إلا فى طول الموجات وقصرها » .

ومصدر الوجود كله على هذا النحو هو النور ، ثم النور الإلهى وهو نشاط محض . ولا فرق بين الوجود والعدم إلا فى خاصة

« النشاط » الذى لا يقاس دائماً بمقياس المحسوسات . بل يتعداها إلى ما وراء الحس والعقل والخيال …

هذان الكتابان — كتاب الفصوص وكتاب الوجود — هما من مظاهر النزعة الروحية التى توازن عندنا تلك النزعة الجسدية ، كما تتمثل فى الصور المثيرة والأقاصيص الماجنة والشواغل الحسية ، وكفى بأمثال هذه المباحث عدلا كافياً للموازنة بين النزعتين . فإنها لدليل على يقظة الجانب الرفيع من ملكات الإنسانية بين المصريين وبين قراء العربية على التعميم . وما أحوجنا اليوم إلى اليقظة فى هذا الجانب الرفيع !

عباس محمود العقاد

بين أدب المرأة وأدب الرجل

للسيدة الفاضلة منيبة الكيلانى

[كاتبة هذا المقال الطريف سيدة عراقية حديثة قل فى مصر نفسها من تضارعها فى عمق الثقافة وسعة الاطلاع وأصالة الفكر . تلقت دروسها الثانوية فى بغداد، والجامعية فى بيروت، ثم سافرت إلى انجلترا فتخصصت فى التربية وعادت إلى بغداد فعينت بمدرسة الفنون البيتية . ثم رحلت مرة أخرى إلى انجلترا فى بعثة المعهد الثقافى البريطانى ورجعت بعد ذلك إلى التدريس

وللأستاذة منيبة نشاط محمود فى الخدمة الاجتماعية والنهضة النسوية والحركة الأدبية ، نرجو أن تكون هذه المقالة فاتحة لتسجيل آثاره على صفحات الرسالة] .

١ — أدب للرجل وأدب للمرأة :

يرى الناظر فى كتب الأدب وتاريخه أن الكتاب اصطلحوا على تقسيمات وأنواع للأدب تحتوها من عصور الأدب أو من خصائصه بالقدر الذى يتعلق بعرضه لا بجوهره ، فقال الأقدمون منهم مثلا بوجود أدب جاهلى وأدب مخضرم وأدب إسلامى ، وفصلوا الأخير منه بحسب ما حكم الأمة العربية أو بحسب ما تنقلت إليه الحكومات العربية من حواضر وبلدان ، فوسموا بعضه بالأدب الأندلسى ، وسموا بعضه بالأدب العباسى ، وغير ذلك من التسميات التى استندت فى الأكثر على هذه الاعتبارات التاريخية والجغرافية المحض . وأشاح المحدثون عن مثل هذه الاعتبارات لأن الفنون الأدبية تنصاع إلى العوامل التاريخية بقدر ما تؤثر تلك الاعتبارات فى مبانى الألفاظ واتجاه التراكيب اللفظية وإيغالها فى البداوة أو قربها من الحضارة مما يجعل فنونها فى الأولى متعددة الألوان والأوصاف لا يخرجها عن الرثاء والمديح والعتاب والوصف والموشحات والغزل والتشبيب إلا بالقدر الذى عرف فى تلك الفترة من مدلولات الألفاظ وتحكم العادات فيها … أعنى لا يخرجها عن القيود التاريخية كبير فرق ، بينما تنعكس الحالة انعكاساً كبيراً فى ضوء الأدب نفسه ، فيتفرع عن هذا ألوان جديدة هى غير الرثاء والمديح والوصف والموشحات والغزل والتشبيب … فهى على هذا ليست موضوعات وإنما هى فصول وأبواب وأجزاء ومباحث تدخل فيها تلكم الموضوعات دخولا ثانوياً لا أقل ولا أكثر . فمن ذلك أن ينقسم الأدب غير انقسامه الأول إلى أدب واقعى Realist ومثالى Idealist ورمزى Symbolist أو إلى أدب صوفى ومكشوف أو إلى أدب مأساة Tragedy وأدب ملهاة Comedy ، وإلى أدب تحليلى أو وجدانى أو مسرحى ، أو إلى أدب ابداع Romantic وأدب اتباع Classic ، وإلى أدب فلسفى وقصصى ، وأدب تبشير وأدب سياسة وكثير من غيرها مما يكبر عن التقسيم الأول ويطول عليه بسبب أن ذلك التقسيم صادر على سبيل الحصر وهذا صادر على سبيل الاطلاق .

وكما أن لذلك التقسيم أنصاراً ومنتقدين فإن لهذا أنصاراً ومنتقدين ؛ وكما أن ذلك التقسيم على شدة وضوحه وتعين حدوده موضع لبعض الانتقاد ما دام يستمد فوارقه وضوابطه عن طريق التبعيض والتكتيل … فهو لا قبل له بما يضطلع به التقسيم الأساسى الذى يحتوى فى بطونه وثناياه ألوان الأدب وأفاعيل الزمان وأشتات الموضوعات وأصناف الأبواب السالفة الذكر ، ومن أجل ذلك أضحى لزاما أن يبدأ التقسيم هذا من مبدأ الأمر ليدخل فى كل قسم سائر ما فى هذه المقدمة وغيرها من التفاصيل ، وعلى أن يكون التقسيم من الناحية الثانية معترفاً به دون جدال فما هو يا ترى ؟ أهو الأدب الحزين والأدب المرح ؟ أهو الأدب الجاهلى والأدب الإسلامى ؟ الجواب على هذه جميعاً (كلا) بل هو — أدب المرأة وأدب الرجل — وفى اللحظة التى نقرر فيها هذا التقسيم نرى أنه استوعب تقسيم الأوائل والأواخر بدون استثناء ، كما أنه احتوى مادة لا تنضب من عصارة الأدب ، فاحتوى خصائص

ينفرد بها أحد النوعين ، واحتوى بالإضافة إليها ما يسود النوعين على حد سواء ، فينصرف تارة إلى ما يتعلق بتراث المرأة ، وينصرف أخرى لتراث الرجل .

وبعد فلئن صح أن الأدوار التاريخية من جاهلية وإسلامية ، وأدوار الحكم الإسلامي من أموي وعباسي وأندلسي ، قد فرقت أنواع الأدب بعضها عن بعض ، فإن تلك الأدوار ذاتها قد أثرت تأثيرات متفاوتة في الرجل والمرأة ، فجاء أدبهما جد مختلف ولو في دور واحد لفرط ما أثرت عوامل الدور الواحد في كل جنس دون صاحبه ، فجاء أدب المرأة منذ أقدم عصوره أصدق أنباء وأكثر انطباقاً على الواقع ، وتكفل أدبها بأسباغ الألوان الحسان والدقة البالغة والجمال الرفيع على أدب الرجل ، وأضحى بعد ذلك يحمل راية الإباء والأنفة والشمم . وجاء أدب المرأة يشد من أدب الرجل ليجعل منه أكثر موافقة ومسايرة الزمن ، وليلهب نشاطه الفكري والاجتماعي ، ويأخذ من الصراحة بنصيب ، ومن التلميح بنصيب ، مما قد لا يدركه الرجل على وجهه بعد أن أثملته الفتوح وبهرت عينيه ثروات الزمان في قبضة يده يصرفها كيف أراد . وجاء أدب المرأة للعقل ، وأدب الرجل للعاطفة ، عند ما تطيش الحلوم ، وتراش السهام ، ويدبر النطق وتقبل بدوات الثار ، وتغرورق العيون من رثاء أو عتاب أو تشكل ، فيعمل الرجل بعاطفته ويفكر بقلبه ، وتسكت هي بفكرها وتتكلم بعقلها فتتم نقصه وتضفي على أدبه اللون القوي المتيد الذي يعوزه . وجاء أدب المرأة بعد هذا لحسن حظها فاقداً بعض الحلقات الموفورة في أدب الرجل ، فليس فيه التعريض ولا رمي المحصنات الغافلات ، ولم يحو التشكك ولا التجني ولا الوسواس ، ولو حوى بعضها جدلا لما كانت من العمق والنور والإثم بالقدر الذي احتواه نتاجه . وجاء أدب المرأة كذلك منحدراً عن أساتيذ لم يعرفهم الرجل ، فقد انحدر بعضه عن تعدد الزوجات وأحاسيسها ، والطلاق وظله الثقيل ، والحجاب غير الشرعي ، والجهل والأمية المفروضة ، وزحمة المسترخصات من الجواري والقيان المزاحمات للبيت الشريف والزوجية المقدسة ، والعضل .

وجاء أدب المرأة متجهاً غير اتجاه أدب الرجل ومتأثراً بهذا العصر وفنونه وعلومه وخصائصه تأثراً غير تأثره ، وهذه كلها أبحاث سنقوم على شرحها والتمثيل عليها وإثباتها في حلقات هذه السلسلة حتى تستقيم منها دراسة لموضوعنا قائمة على أسس غيرما تعارفه بحاث الأدب حتى الآن .

هذه الفروق التي ذكرتها تتوفر في كل فن من فنون الشعر ولكنها أول ما تتوفر في الوصف ؛ فانظروا كيف تكون .

قال شاعر الفلاسفة أبو العلاء المعري في صباه :

علِّلاني فإن بيض الأماني … فنيت والظلام ليس بفان
إن تناسيتما وداد أناس … فاجعلاني من بعض من تذكران
رب ليل كأنه الصبح في الحسـ … ـن وإن كان أسود الطيلسان

ويقول فيها وهو من رائع القول :

ليلتي هذه عروس من الز … نج عليها قلائد من جمان
وكأن الهلال يهوى الثريا … فهما للوداع معتنقان
ثم شاب الدجى وخاف من الهجـ … ـر فغطى المشيب بالزعفران

هذا من وحي الصبا ؛ وأروع منه عندي قول جحناء بنت نصيب وقد افتر الضحى عن نهار بسام وجاءت مع أبيها نصيب فأنشدت المهدي الخليفة العباسي هذا الوصف على قافية شاعر الفلاسفة ووزنه وقصيدته ومعناها :

رب عيش ولذة ونعيم … وبهاء بمشرق الميدان
بسط الله فيه أبهى بساط … من بهار وزاهر الحوذان
ثم فيه من ناضر العشب الأخضـ … ـر تزهو شقائق النعمان
مده الله بالتحاسين حتى … قصرت دون طوله العينان
حفلت حافتاه حيث تناهى … بخيام في العين كالطيلسان
زينوا وسطها بطارمة مثـ … ـل الثريا يحفها النسران
ثم حشو الخيام بيض كأمثا … ل المها في صرائم الكثبان
يتجاوبن في غناء شجي … « أسعداني يا نخلتي حلوان »
فبقصر السلام من سلم الله … وأبقى خليفة الرحمن
ولديه الغزلان بل هي أبهى … عنده من شوارد الغزلان
يا له منظراً ويوم سرور … شهدت لذتيه كل حصان

أحاط المعري ما وصف بتعقيد ، وأشاح عما يصف إلى ما يسوغ به الوصف ، وجاءت هذه الشاعرة بالقول سافراً ، ووضعت فيه تفاصيل البناء ، واقتبست غناء المغنيات ، ودعت للخليفة ، ولم يفتها في وسط هذه الفتنة أن تجعل اللذتين لذة الناظر ولذة السرور مقصورة على الحصان من النساء فأفردت بذلك غريماتهن من المسترخصات على أنهن لهو وعبث ومتاع ، فلا لذة لهن من هذا القبيل . أليس هذا بعد الذي أوضحت أصدق إنباء وأكثر بياناً وتبياناً ؟

وليس هذا في مجال الوصف فقط فقد يصف الشاعر المفلق

الذى طبقت شهرته الآفاق مشهداً محزناً فتفوقه بذلك شاعرة ليست لها شهرته وليس لها طول باعه .

هذا الشاعر ابن الرومى ، والشهد المحزن هو موت ولده ، والشاعرة امرأة لا اسم لها ، ومنظرها المحزن موت ولدها فى سفرها معه .

هذا ابن الرومى يقول وأروع ما يقول هو :

توخى حمام الموت أوسط صبيتى   فلله كيف اختار واسطة العقد
ألح عليه النزف حتى أحاله   إلى صفرة الجادى عن حمرة الورد
وظل على الأيدى تساقط روحه
ويذوى كما يذوى القضيب من الرند

ويناجيه فيها بقوله :

أرى أخويك الباقيين كليهما
يكونان للأحزان أورى من الزند
إذا لعبا فى ملعب لك لوّعا
فؤادى بمثل النار عن غير ما قصد

وتقول هذه المرأة :

ما كان إلاّ أن هجعت له   ودمى فأغفى مطلع الفجر
إذ راعنى صوت هببت به   وذعرت منه أيما ذعر
وإذا منيته تساوره   قد كدّحت فى الوجه والنحر
وإذا له علق وحشرجة   مما يجيش به من الصدر
والموت يقبضه ويبسطه   كالثوب عند الطى والنشر
فدعا لأنصره وكنت له   من قبل ذلك عُدة النصر
فعجزت عنه وهى زاهقة   بين الوريد ومدفع السَّحر
فمضى وأى فتى فجعت به   جلت مصيبته عن القدر
لو شاء ربى كان متعنى   بابنى وشد بأزره أزرى
بُنيت عليك بنى ـ أحوج ما   كنا إليك ـ صفائح الصخر

أى إعجاز هذا ؟ لقد وصفت الحشرجة والنزع والوفاة وعادت وهى أشد ما تكون لوعة إلى صوابها وعرفت أن ربها اختار لها هذا فكانت أصدق إنباء وكانت أكثر دقة وكانت قصيدتها للعقل والإيمان .

٢ — صراحة أدب المرأة :

إن الصدق فى الإنباء والدقة فى التعبير إنما يجيئان من توفر الإنسان على ما هو فى سبيله من الشأن والنظر إليه من ناحية الواقع المجرد ، وذلك حال المرأة فى تلك العصور، فإن انكبابها على ما هى بسبيله ، وقصورها عن مجاراة الرجل فى مجال نشاطه خارج البيت ، أتاح لها أن تتوفر على الموضوعات التى تضطلع بها غير توفره ، وتصدر فيها عن حكمة وروية غير حكمته ورويته التى أبطرتها كثيرا التوسمات العسكرية ، والفتوحات ، وسلطان الحكم والظفر ، وهكذا كان الرجل يفتقر إلى مقطوعات من أدب المرأة تمر بها جهاته وتكفكف غلواءه ؛ فلقد وجدت السيدة زبيدة زوج الرشيد لزاما عليها أن توصى على بن عيسى وقد أمره الأمين بالشخوص لقتال المأمون بالوصية التالية التى تعتبر وثيقة خطيرة فى السياسة فضلا عن كونها قطعة رائعة من الأدب فتقول له :

« يا على ، إن أمير المؤمنين وإن كان ولدى وإليه انتهت شفقتى ، فإنى على المأمون منعطفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه وأذى ، وإنما ولدى ملك نافس أخاه فى سلطانه . فاعرف لعبدالله — المأمون — حق ولادته وأخوته ولا تجبهه بالكلام فإنك لست نظيراً له ، ولا تقتسره اقتسار العبيد ، ولا توهنه بقيد أو غل ، ولا تمنع عنه جارية أو خادماً ، ولا تعنف عليه فى السير ، ولا تساوره فى السير ، ولا تركب قبله ، وخذ بركابه إذا ركب ، وإذا شتمك فاحتمل منه » .

بهذا القدر من الحدود وضعت السيدة زبيدة قائد جيش ولدها الأمين الذاهب لمقاتلة المأمون غريمه على العرش ... وبهذا الخطاب الرائع كبحت سورة نفسه وأعلنت أدبها المتجاوب الأجزاء المتماسك الأطراف ، وأعربت عن سموه . وبهذا الأمر السامى أثبتت أن أدب المرأة للعقل لا للعاطفة ، وأنه صادق فى الإنباء ، دقيق فى الأداء ، وإلا كان فى بعض هذا الذى قالت كفاية ، وبهذه الوصية الدقيقة المحددة وضعت سياسة العقيدة التى تدين بها بقولها « وإن كان ولدى ، وإليه انتهت شفقتى ، فإنى على عبد الله منعطفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه ... »

وليست السيدة زبيدة وحدها ذات المقام المرموق فى السياسة والأدب ، ولا عقيلات الخلائف أو بنات القصور ، بل قد يتوفر هذا الضرب من الكلام الحكيم والرأى الثاقب فى فتاة من عامة الناس لا صلة لها ببلاط الملك ولا سلطان الحكم مما يؤيد أن المسألة إنما هى أدب المرأة على أشد ما يكون الاطلاق شمولا .

قصة امرأة من الخوارج أرسلت أسيرة للحجاج بها وهى

القسم الثالث :

فرنسا ومستعمراتها

للأستاذ أحمد رمزى بك

إن العالم الإسلامى فى يقظته وفى كفاحه مع الاستعمار البريطانى والأوروبى والصهيونى يواجه ثلاث هيئات اتحادية : الاتحاد السوفييتى فى الشمال والاتحاد الفرنسى فى المغرب والاتحاد الهندوكى فى الهند . وكل اتحاد منها يعطى لنفسه مظهر حركة تقدمية [1] يصبغها بصبغة التحرر [2] ويريد كل منها أن يقنع العالم أن هذا الاتحاد أو الضم جاء وليد إرادة شعبية ، وأنه فى مصلحة هذه الأمم وفى الهند يأخذ الاتحاد شكل حركة قومية كبرى . ولو كان الأمر قاصراً على المناطق التى يسود فيها الروس والفرنسيون والهندوس لما أثار ذلك اعتراض أحد من الناس .

ولكن الباحث الدقيق لا تغريه الألفاظ والمظاهر ، إذ يتبين له أن كلا منها ينتزع أقطاراً شاسعة ويحاول أن يضم أمماً إسلامية لا تمت بصلة إلى الاتحاد الذى يفرض نفسه فرضاً عليها ولذلك لا تلبث أن تنكشف حقيقة هذه الأنظمة الاتحادية حينما يتعلق الأمر بمستقبل الشعوب الإسلامية وحريتها ، إذ تبدو لنا هذه الأنظمة فى ثوب قوات رجعية [3] تعسفية [4] ، لا تمنح للمسلمين حريتهم

(١) progressiste . (٢) emancipation .
(٣) retrograde . (٤) aggressif .

تعرف من ستقابل ، وقيل لها وهى فى طريقها إليه : «أى أم علقمة والله لو وافقته فى المذهب لنجوت من أذاه» فقالت : «قد ضللت إذاً وما أنا من المهتدين» .

وجاءت ديوان الحجاج وقد استحال كل ما فيه إلى وجوم ، ووقفت وهو جالس فانتهرها قائلا : «لقد خبطت الناس بسيفك يا عدوة الله خبط العشواء» . فقالت : «لقد خفت الله خوفاً صيرك فى عينى أصغر من ذباب» وكانت منكسة . فقال : «ارفعى رأسك وانظرى إلى» فأجابت : «أكره أن أنظر إلى من لا ينظر الله إليه» . فقتلها .

(البقية فى العدد القادم) منيرة الكيلانى

وحقهم فى تقرير مصيرهم ، بل تجعل للتحكم والسيطرة والاستغلال الاقتصادى شكلا جديداً براقاً لا يغتر به إلا الواهمون .

فالاتحاد الفرنسى يحاول بقوة التشريع ضم أراضى شمال أفريقية وسكانها وهم أكثر من عشرين مليونا ، لهم تاريخهم وثقافتهم وشخصيتهم ، بدون أن يسمح لهم بأبداء رأى فى هذا الاتحاد ، والاتحاد السوفييتى يضم أكثر من أربعين مليونا من المسلمين الأسيويين لا يسمع لهم صوت ولا يسمح لهم بالاتصال بالعالم الخارجى ، والاتحاد الهندى يمنع إنشاء دولة الباكستان الإسلامية ولا يسلم بها .

ولا يمكن للعرب فى أفريقيا والمسلمين فى آسيا قبول وضع من الأوضاع يجعل منهم أقلية فى بقعة من بقاع الأرض : لأن تجارب الماضى كانت شديدة الوقع عليهم ، ولذلك فهم لا يسلمون الأقدار أن تتحكم فيهم مرة أخرى ، ثم هم أصحاب مجد وتاريخ وصولة على هذا الكوكب الأرضى ، وهو تاريخ حافل بأيام العراك والكفاح والنصر والهزيمة ، وهو فى قوته وبروزه وأثره ، لا يمكن أن يقارن بتاريخ أى أمة من أمم الأرض مهما علا كعبها فى الحضارة ، وقد ألقى علينا هذا الماضى درساً قاسياً لا يمكن أن ننساه ، فنحن فقدنا ملايين من العرب فى إسبانيا وجزائر صقلية وسردينيا وكريت ومالطة ، كانوا عرباً دخلوا هذه البلاد واستوطنوها ، ثم زالت أيامهم فأدمجوا بالسيف فى جنسيات وأديان أخرى ، ولا تزال دماء العروبة فى عروقهم إلى اليوم ، وهناك ملايين من المسلمين كانوا سادة فى القرم ورومانيا والبلقان فأين هم اليوم ؟ إنهم يوم أن أصبحوا أقلية أفناهم الظلم والاستبداد .

ولهذا فكل اتحاد يفرض بالقوة على أقطار المغرب وشعوبه العربية ، ويحول بينهم وبين جامعتهم هو حركة استعمارية رجعية تعسفية تستهدف إفناء العروبة والإسلام والوقوف أمام نهضة الشعوب العربية فى مراكش وتونس والجزائر وإضعافها كقوة فعالة فى تاريخ العالم . ولذا وجب على كل فرد منا أن يفهمها على حقيقتها وأن يشعر بالأخطار التى تهددنا من هذه الناحية ، وأن نحشد كل مالدينا من القوى الروحية والعقلية للوقوف أمامها حتى يشعر العالم أجمع أنه ليس فى عزمنا نحن معاشر الأمم الإسلامية والعربية أن نفنى بهذه السهولة من الأرض فتذهب ريحنا لدى الصدمة الأولى .

* * *

ولقد عرضنا فى القسمين المتقدمين لمتاعب الاستعمار الفرنسى ولمسنا تأخره عن ملاحقة العالم ، وكشفنا عن إفلاس فرنسا كدولة حاكمة ، وقلنا إن هذه الأمور جهر بها كتاب الغرب وسلم بها الفرنسيون أنفسهم أو فريق منهم ، وكنا نقدم للقارىء ما يجول بنفسية الفرنسيين من آمال وسط هزائمهم وبعد أن ظهر للعيان تقصيرهم ، وكنا نرى بهذا أن نضع الحقائق مجردة أمام القارىء حتى يكون على علم بأقوال الخصم ، وما يدخلها من غرور ووعيد وغايتنا من ذلك أن يفهم العالم العربى أن محاربة الاستعمار تستلزم الوقوف على أساليبه والالمام بطرقه وأن الدول الغاصبة مهما كانت سياستها غاشمة ومع مابين أيديها من وسائل القمع ، تحاول أن تفرغ هذه السياسة فى قالب يقبله العقل ويسلم به ، فعلى الذين نصبوا أنفسهم للجهاد أن تتسع صدورهم لأقوال الخصم وأن يروضوا أنفسهم على الحقائق وإن كانت مرة لينتسى لهم تحقيق ما رسموه لأنفسهم ومبادئهم من أهداف .

والدول الاستعمارية لا تفهم ما نقرره لأنفسنا بل لاتسلم به ، وإنما لديها المنطقات التى توافيها بكل صغيرة وكبيرة عنا ، وهى لا تنوى أن تتنازل عن أملاكها ومستعمراتها أو تفرط فى حق من حقوقها ، إلا بالقدر الذى تنتزعه الشعوب منها ، وهذه فى تقدمها وسيرها نحو الوعى القوى واليقظة تؤمل فى أن تتشبع بالحقائق ، حتى لا تذهب جهودها وضحاياها هباء ، ثم هى تروم أن تحقق لها مجداً وأن تسير فى طريق التحرر والخلاص وأن تعالج مشاكلها على ضوء العلم ووضع الأمور فى نصابها ، فعلى المتصدرين للحركات العامة أن يهيئوا أنفسهم للقيادة ، ولا يكون ذلك بغير العلم والبحث والدرس ، وتتبع الدول الاستعمارية والكشف عن أغراضها ومراميها والوقوف موقف الحريص على حقوق هذه الشعوب بل موقف المتيقظ للدفاع عنها أمام الضمير العالمى .

وقف فى القرن الماضى بعض كتاب الانجليز يتحدثون عن أعباء الرجل الأبيض ومسئولياته إزاء الشعوب المحكومة فقالوا إنه يحمل عبئاً ثقيلا هو قيادة هذه الشعوب نحو الحضارة والتقدم ، وفى نفس الوقت أطلق كتاب أوروبا على دولة آل عثمان اسم رجل أوروبا المريض . فمن كان ينتظر بعد مضى سنوات أن تتبدل أحوال الكون وأن تصبح الأوضاع مقلوبة ؟ فإذا بالأمبراطورية الفرنسية هى الرجل المريض الذى تخشى الدول الغربية وفاته ، وإذا من أعباء الرجل الأبيض ممثلا فى الحكومات الانجلوسكسونية بريطانيا وأميركا ؛ حماية امبراطورية مريضة فى حالة النزع ، والمحافظة على وحدتها ، وأحيانا مجاملتها على حساب حرية الأمم المغلوبة على أمرها .

إن الأسلحة والمعدات الحربية التى تسلمتها من هذه الدول لم تستعملها فى قتال الألمان وتحرير البلاد منهم ، وإنما وجهت إلى صدور الشعوب المظلومة فى مدغشقر والهند الصينية ، وهذا العتاد سيستعمل يوما ضد أمم العروبة فى المغرب ، فما الثمن الذى قبضه الرجل الأبيض ؟ : هو تحطيم السور الفولاذى حول المستعمرات أمام نشاطه وفتح حدودها واعتبارها أسواقاً تجارية له ، وماذا كسبت فرنسا الأم الحنون ؟ كسبت المجد الدائم وهو أن تمر العمليات بطريق باريس بدلاً من أن تتجه رأساً إلى أراضى المستعمرات ، وفى سبيل ذلك يسلم الرجل الأبيض ببقاء فرنسا مدة أخرى فى شمال أفريقيا محتفظاً لنفسه بحق الرجوع مرة ثانية إليها إما لتحريرها أو للمساعدة فى تهدئتها .

* * *

فى الوقت الذى كان رجال فيشى يفضلون فيه التضحية بأراض من فرنسا محافظة على وحدة أملاكهم الأفريقية ، كان الفرنسيون الأحرار يفكرون تفكيرا استعماريا من نوع آخر ، فقد عقدوا قبل نهاية الحرب مؤتمراً لهم فى مدينة برازافيل بأفريقيه جمع عدداً من حكام المستعمرات تبادلوا الرأى فيمابينهم واتخذوا قرارات بشأن سياسة المستقبل بعدأن استعرضوا مسائل هامة : منها العمل على رفاهية السكان الوطنيين ورفع مستواهم المادى مع تحسين حالتهم الاجتماعية والفكرية ، وعرضوا لمسائل التعلم وأثر الدين وتوزيع العدالة ، ثم بحثوا مسائل الحكم الذاتى والإدارة المباشرة وغير المباشرة ، واتخذت قرارات سرية نحو وحدة الامبراطورية والسير بها فى طريق الاتحاد الفرنسى ، وهذه القرارات هى التى نقلوها معهم إلى الجزائر وأدمجوها فى مشروع الدستور الجديد ، فعلى الذين يدوسون هذا الاتحاد أن يرجعوا إلى بحث قرارات هذا المؤتمر الاستعمارى وسنأتى على شىء من ذلك فى القسم التالى .

أحمد رمزى

في بلاد العرب :

من دمشق إلى «دير الزور» !

« تحية إلى إخواني هناك وتلاميذي »

للأستاذ علي الطنطاوي

إلى دير الزور ...

استعدوا يا سادة ، فقد أزف الرحيل ، وشدت الأهداج ، فودعوا الأحبة والصحاب إن كنتم تطيقون الوداع ، وخذوا طريقكم إلى (المرجة) ففيها الموعد الفجر ، وأسرعوا لا يشغلكم جمال الغداة ، ولا يسحركم السَّحَر ، وإن ملأ السماء والأرض والنفس خشعة وفرحة وبهاء ، فحرام على ذي الأعمال ، أن يفتنه عنها الجمال ...

ها نحن أولاء في (المرجة) ، وها هو ذا صوت المؤذن يمشي في الفضاء مشي البرء في الأجسام ، والطرب في الأعصاب ، فيكون لهذه الدنيا نوراً وطهراً وعطراً ، وها نحن أولاء نصلي الصبح في (جامع يلبغا) الذي سرق نصفه العثمانيون فجعلوه مدرسة ، كأن الأرض قد ضاقت بالمدرسة حتى ما يتسع لها إلا الجامع ، ولكن اللصوص لم يكونوا حذاقاً ، ولم يستطيعوا طمس الآثار ، فنسوا (المئذنة) لم يسرقوها فلبثت قائمة تشهد عليهم ، كشهادة (منارة سوق الغزل) على أهل بغداد ، أنهم سرقوا (المسجد الجامع) الذي كان قطب الأرض ، وأكلوه ، وادعوه أنهم ما رأوه ..

وها نحن أولاء نخرج فنرى السيارة وعليها الأحمال ، ولكن ما لها لا تمشي ؟ ألم يأن الأوان ؟ ألم يؤكدوا لنا أن الرحلة الفجر ؟ لقد مضت نصف ساعة ، ومضت ساعة ، وملأت الشمس الدنيا ، وأمتع الضحى ، وهي واقفة ، ترقب أحد البكوات حتى يصحو وتفرك الجارية رجليه ويغتسل ويأكل ويلبس ويجيء مبتختراً .. فلما ذا منعونا نحن النام ، وألزمونا الحضور في الغلس ، في برد كانون ، وقرّ الليل ؟ وما هذه الخصومات والمعارك ، وهذه الألفاظ الوسخة التي يقذف بها السائقُ ومعاونوه في وجوه الركاب ، لأنهم طالبوا بحقهم وأبوا الظلم ؟ وما لشركة (نَرْن) الإنكليزية تسير سياراتها كما تسير عقارب الساعة ، لا يسبق عقرب ولا يتأخر ولا يقفه شيء ؟ أكتب علينا أن نظل أبداً أهل خلف في المواعيد ، وكذب في الأحاديث ، وفوضى في المعيشة ، لا نحن اتبعنا ديننا ، دين الصدق والنظام ، ولا نحن قلدنا الأوربيين في فضائلهم ؟ ما قلدناهم إلا في الرذائل والموبقات !

***

لقد دنا المسير ، و (رغت)[1] السيارات ، فاستنجدوا بقرائحكم لتسعفكم بالقول المحلّى واللفظ المعسول ، واعتصروا العيون واستمطروها الدمع ، فما يحلو بغير الدموع الوداع ، وما وصفه شاعر إلا (زعم ...) أنه بكى ، فكأن الشعراء ... إذا أزمعوا وداعاً وضعوا البصل في عيونهم ... وإلا فكيف تجود بالدمع عند كل طلب كأنها (حنفيّات) الحمام ، أو كأنها مُقل الحسان ؟

وخذوا مقاعدكم قبل أن يشتد الزحام . ولكن من أين ندخل وهذه السلال والصرر والحقائب بين الأرجل ووسط الممرات ؟ وما هذا الضيق في المقاعد ؟ هل هي رحلة دقائق من دمشق إلى دمّر ، أو من مصر إلى المعادي ؟ إنها رحلة يوم كامل بليله وأكثر نهاره أنمضيه محبوسين في هذا الصندوق ، مقيدين بالأصفاد ، لانستطيع أن نحرك يداً ، ولا نمد ساقاً ، ولا نتلفت ؟ أنقاوم الشركات الأجنبية ونحاربها بمثل هذه السيارات ؟

يا قوم إنكم بمثل هذا تجعلون الناس يترضون عن الأجانب ، ويلعنون لأجلكم كل شيء وطني !

***

لقد جرت السيارة وباسم الله مجراها ومرساها ، ها هي ذي تخترق شارع فؤاد الأول ، وتقطع شارع بغداد أفخم شوارع دمشق وأطولها ، الذي فتح من ربع قرن ولم يبن فيه إلا خمس بنايات ، لأن البلدية أرادت عمران دمشق ، فوضعت للبناء فيه شروطاً لا يمكن معها البناء ، إلا إذا قامت حرب عالية ثالثة ، وصار كل الشاميين لصوصاً أي (أغنياء حرب) ...

لقد بلغنا (جسر تورا) فودعوا دمشق بنظرة أودعوها حبة

(١) الرغاء للابل .

القلب ، وقرارة اللب ، فما تلقون إذا فارقتم دمشق مثل دمشق ، وأين ؟ أين مثل فتونها وسحرها ؟ وأين مثل نقاها وطهرها ؟ أين قبة تنطح النجم كقبتها ؟ أين فى الأرض غوطة كغوطتها ؟ أين نهر يسيل شعراً وذهباً كبرداها ؟ أين مثل ربوتها وشاذروانها ومزّتها وميزانها ؟ أين فى الدنيا ربيع كربيعها ، وزهر كزهرها ، وثمر كثمرها ، وكروم ككرومها ؟

تزوّدوا منها بالنظرات تكن لكم فى طريقكم زاداً وفى غربتكم أنساً ...

***

هذه (دوما) قصبة الغوطة فيها خمسة وعشرون ألف ساكن قلّ فيهم من يتفرغ للعناية بدار لذلك ترون دورهم زريّة منخفضة السقوف ، ضيقة الأبواب ، وقل فيهم من يعتنى بثوب أو يحرص على علم ، ما لهم هم إلا الزراعة فهم أقدر خلق الله عليها ، وأصبرهم على مكارهها ، لأنهم يشتغلون لأنفسهم وذراريهم ، لا لـ (بك) من البكوات ، ولا لخواجة من الخواجات ، وقل فيهم من لا يملك قطعة من الأرض ولو صغرت ، يعيش بها ولها ويموت عنها ، ليس فيهم أسرة يستعبدها الملاك هذا الاستعباد (الحرّ) ... ويظلمها هذا الظلم (القانونى) ... فينظر إليها كما ينظر إلى حميره وأبقاره ، ويعاملها معاملتها ، فيسكنها فى مثل زرائبها ، ويطعمها قريباً من طعامها ، ولا يراها أعلى قدراً منها ، يشغلها السنة كلها تكد وتشقى ، لتقدم له ثمن سكرة من سكراته ، أو ليلة (حمراء!) من ليلاته ، تريق عرق جباهها على أقدام عشيقاته ، وتبذل حياتها ابتغاء مرضاته ، ثم لا تنجو من غضباته ونزواته !

إنها أرضهم هم ، وهم أصحابها ، ولذلك ازدهرت وأينعت حتى صارت أجمل أرض فى الوجود . فانظروا إليها من حولكم ، إلى هذا البحر يموج بالأشجار ، تمايل أغصانها ، وتتعانق أفنانها ، تتوجها إذا جاء الربيع ألوان الزهر ، فتكون ابتسامة الزمان على فم الثرى ، وتثقلها إذا حل الصيف أنواع الثمار ، من المشمش عشرين نوعاً ، حبّه كالتفاح استدارة وبهاء لا كمشمش مصر الذى يشبه فى صغره حبّ الخردل ، ومن التفاح أربعين نوعاً ، والكمثرى عشرين ، والعنب خمسين نوعاً معدودة عداً ، والدراق والخوخ والجانرك والسفرجل والجوز واللوز والتين والزيتون أنواع شتى وأشكال ، وإلى السواقى تسعى فيها تحمل الحياة من بردى إلى هذه الأرض المباركة ، يميد على حوافيها الحور ويرقص الصفصاف ، وتنساب عروق البطيخ والشمام والقثاء والخيار ، وتضحك من حولها حقول القمح ، ومزارع (الخضار ...) . هذه هى الغوطة : بستان واحد ، مساحته أكثر من ثلاثمائة مليون متر مربع ، متصل الظلال ، متلاقى الأغصان ، كل شبر منه ثروة وجمال ، وكنز لا ينفد على الإنفاق .

لقد جازت (السيارة) دوما ، فانظروا إليها فقد كادت تختفى مناراتها ، كما اختفت دمشق إلا جبليها الخالدين ، قربى الدهر حليفى الخلود : قبة النسر من الأموى ، وهامة الصخر من قاسيون.

وهذى كروم دوما ، يضل البصر فى رجاها[1] ويقصر عن مداها ، فيها (العنب الدومانى) الذى سارت بذكره الركبان ، فمن لم يأكل منه لم يأكل عنباً إلا على المجاز ...

ولكنكم مررتم بالغوطة وكرومها فى الشتاء ، فدهشتم وما رأيتم إلا حطبها ، فكيف لو جزتم بها الربيع فشاهدتم البهى من زهرها ، أو سلكتموها فى الصيف فجنيتم الشهى من ثمرها ؟ إذن لقلتم : لارب إلا الله ، ولا بستان إلا الغوطة !

***

لم يبق الآن أمامكم إلا الصحراء ، ولكن هذه الصحراء كانت يوماً من الأيام سهولا ممرعة ، وكان أكثرها منازل عامرة وكانت تفيض بالخيرات وتزخر بالظلال ، أيام الملوك الغرّ المبشمين سادة الدنيا ، بنى أمية ، الذين حملوا راية الإسلام إلى أقصى المشرق وإلى أقصى المغرب ، من أطراف الصين إلى أواسط فرنسا ، فنصبوها على قبة الفلك ، ودعموها بالعدل والنبل والفضل ، فما كانوا فاتحين كالفاتحين ، يغلبون بالقوة ، ويملكون بالسطوة ، فإن زالوا زالت آثارهم ، ولكن كانوا مجاهدين ، وكانوا بانين ، وكانوا عبقريين ، فجعلوا هذه البلاد كلها إسلامية عربية إلى يوم القيامة . وكان لهم الفضل على مسلم ، فى هاتيك الأقطار حتى تقوم الساعة ، رحمهم الله وغفر لهؤلاء المؤرخين الذين حاولوا أن يتقربوا إلى أعدائهم بإطفاء هذه الشمس التى بهرت العيون ، فجمعوا غبار الطرق وجعلوا

(1) الرجا : واحد الأرجاء .

ينفخونه عليها حتى تمزقت صدورهم ، والشمس ساطعة لم تنطفئ ، ومن ذا يطفئ نور الشمس فى رأد الضحى ؟

رحمهم الله ، فقد جعلوا هذه المدينة لما نزلوها سيدة المدائن ، ورفعوا قدرها حتى ذلت لها نهاوند ودانت قرطبة وخضعت سمرقند وطأطأت لها القسطنطينية ، فأضعنا نحن من بعدهم عزها . إن الأرض تسمر أبداً وبلادنا تمشى إلى الخراب ، إنكم ستمرون الليلة على المدينة التى قارعت روما يوم كانت روما عاصمة الأرض ، ونازعتها مجدها وسلطانها ، فلا ترون فى مكانها إلا قرية اسمها (تدمر) ، أفرأيتم كيف نمشى إلى الوراء ؟ إن ديار الشام التى يسكنها اليوم بساحلها وداخلها ، وشمالها وجنوبها ، خمسة ملايين كان فيها يوماً من الأيام خمسة وعشرون مليوناً . وكان فى العراق مدينتان متجاورتان ، فى كل منهما مليونان ، وأهل العراق كله اليوم خمسة ملايين . وإن بين هاتين المدينتين اليوم على الطريق جسراً قائماً فى الفلاة ، كان تحته نهر اسمه دجيل ملأ الشعراء بذكره الأسماع ، يسقى مدينة اسمها حربى زخرت بأخبارها صحف التاريخ ، فمحيت المدينة وجف النهر ولم يبق إلا جسر قائم فى الفلاة . وكان فى البصرة عشرة آلاف قناة ، فلم يبق فيها اليوم إلا مائة وثمانون قناة .

نعم لقد عدنا إلى الوراء ولكن عهد التأخر قد انقضى . لقد وقفت القافلة تجمع شتاتها ، وتمد عدتها ، لتمشى فى طريق المجد كما مشى الأجداد ...

لقد عرفتنا المصائب فى فلسطين والمغرب ومصر والشام ، أن الطريق من هنا : إلى الشرق ... من الشرق يطلع فجر الخلاص ، أما الغرب فلا يجىء منه إلا ليل الظلم وسواد الاستعمار ...

هذه حقيقة تدرس فى المدارس الأولية ، ولكن فى الناس جهلاء لم يتعلموها بعد !

* * *

يا إخواننا . إن هذه السفرة ستعلمكم الصبر . إنكم ستتحدثون حتى تملوا الحديث ، وتسكتون حتى تكرهوا السكوت ، وتأكلون حتى تعافوا الأكل ، وتجوعون حتى تشتهوا الطعام ، وتنامون حتى تشبعوا من النام ، وتستيقظون حتى تتمنوا الهجوع ، وأنتم محبوسون فى هذا الصندوق ، مصفدون بالأغلال ، فأين هذا من رحلات الأجداد على الإبل ، يستمتعون بالحرية والانطلاق والتأمل؟ تقولون أنكم اختصرتم الزمان ... وما ذا فى اختصار الزمان ، إلا الإسراع إلى القبر ؟

إنكم تشكون والسيارة تمشى لكم على الطريق الآهلة ، وأنتم قعود تأكلون وتشربون ، ففكروا فى بطل الدنيا سيف الله (خالد) وصحبه : كيف قطعوا هذه البادية على الإبل لا يمشون على طريق ولا يجدون ماء ولا زاداً كافياً ، والعدو محيط بهم ، فلما وصلوا إلى الشام لم يغتسلوا ويعدوا أرجلهم ... ولكنهم نازلوا جنود سيد الكتائب قيصر ، وانتزعوا منه الظفر ، وأخذوا منه البلاد ، فبقيت خالصة لأمة محمد ، لن تمتدوا لغيرهم أبداً ، لا للانكليز ولو غلبوا عليها حيناً ، ولا لليهود ، ولا للامريكان ...

أولئك هم الرجال حقاً !

* * *

وبعد فهذى هى الدير ، تبدو مناراتها من وراء البادية ، كما تبدو الميناء من وراء البحر ، فحث المطى يا أيها السائق ، واسقها (البنزين) ، فقد مل السَّفْر ، ونفد الصبر ، واشتد الشوق ...

وأعظم ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الخيام من الخيام

هذى هى الدير قد وضحت ، أفلا تحسون أنكم مقبلون على مدينة عراقية ، أليس لمناراتها رشاقة مآذن بغداد ، وإن لم يكن لها ثوبها المزركش الذى تخطر فيه ، وتاجها الذهبى الذى تميس تحته أليس فراتها هو الفرات الذى يجرى فى العراق وإن لم تزن كتفيه الروابى المخضرة ، ولم يستنقع فيه النخيل ، ولم تمرح على صفحته الزوارق الشمرية ، ولم يؤكل فى القهوات المطلة عليه السمك المسقوف؟

هذى هى الدير ، فدعونى يا رفاق أفارقكم لأحدث القراء (حديث الدير) ... فان فيهم من لم يسمع من قبل باسمها !

على الطنطاوى

لبنـــان والعربية

للاستاذ السهمي

يقول أمير الشعراء أحمد شوقي (رحمه الله) في لبنان وبيروت في عبقرية لبنانية :

بلغ السها بشموسه وبدوره   لبنان وانتظم الشارق صيته
لبنان والخلد اختراع الله لم   يوسم بأزين منهما ملكوته
هو ذروة في الحسن غير مرومة   وذرا البراعة والحجى بيروته

ويروى ياقوت في معجم البلدان لأحمد بن الحسين بن حيدرة مقطوعة فيها هذا البيت في مياه لبنان :

وكيف التذاذي ماء دجلة معرقاً   وأمواه لبنان ألذ وأعذب

ويذكر شاعرنا أبو الطيب تفاح لبنان في عضدية عبقرية :

حيث التقى خدها وتفاح لبنان (م) وثغرى على حميـــاها

ويقول النشاشيبي في بيروت في خطبة(١) :

بيروت مثقفة العرب .

بيروت موقظة العرب من بعد طول هجوعهم .

بيروت منبث الأضواء والأنوار .

بيروت فلك الشموس والأقار .

بيروت دار أحمد فارس والأحدب والأسير .

بيروت دار اليازجيين : ناصيف وخليل وابراهيم .

بيروت دار البستانيين : بطرس وسليمان وعبد الله .

بيروت دار أديب إسحاق وأحمد عباس .

بيروت دار الحوراني والشرتوني وصروف وضومط .

بيروت دار شكيب أرسلان وأمين الريحاني ومحيي الدين الخياط ومصطفى الغلاييني .

بيروت هي التي نزل على أهلها ، على كرام ، الأستاذ الإمام محمد عبده (رضي الله عنه) وأملى فيها رسالته البليغة في التـوحيد بل معجزته .

في بيروت تثقفت واهتديت واتبعت داعي الإسلام والعربية

(١) سنة ١٣٥١ .

والوطنية ، وجيت جندياً من جنود سيدي [محمد بن عبد الله] عليه صلوات الله .

المدرسة البطريركية(١) للروم الكاثوليك مدرستي .

ضوأت لي بيروت عن طريق فشيت ، وهدتني بيروت هداها فهديت ، ورحت أقول في قصيدة(٢) :

حنـــانيك يا ربما به نلت منيتي
وأبعدت في الشرق الخطير لي الذكرا
إذا النـــاس ضلت في مجاهل غيها
وساءت مساعيها فلا تعرف البرا
فإني بأرض الشام أخدم أمتي   وأرجو لها في كل واقعة نصرا
أخوض غمار الكون بالعـلم والتقى
ولا أسأل القوم العظام لي الأجرا

بيروت مدينة تهذيبي .

والعربية هي التي يقول فيها النشاشيبي :

اللغة هي الأمة ، والأمة هي اللغة ، وضعف الأولى ضعف الثانية ، وهلاك الثانية هلاك الأولى . وكل قبيل حريص — وقد كان في هذه الدنيا — جد حريص على أن يستمر كونه ، وعلى أن لا يبيد(٣) ، فهو مستمسك بلغته للاحتفاظ بكينونته . واللغة ميراث أورثه الآباء الأبناء ، وأحزم الوراث صائن ما ورث ، وأسفههم في الدنيا مضيع .

وإنا أمم اللسان الضادي — لعرب ، وإن لغتنا هي العربية وهي الإرث الذي ورثناه ، وإنا لحقيقون والآباء هم الآباء واللغة هي تلك اللغة بأن نقي عربية الجنس وعربية اللغة ، نقي العربيتين مما يضيرهما أو يوهنهما .

ولو كان الوارثون صغاراً ولو كان الميراث حقيراً لوجب علينا إكبارهم وإعظامه ، فكيف والتاريخ يقول: إن الآباء كانوا كراماً ، وإن الآباء كانوا عظاماً . وكان لهم الخلق المتين الجيد ، وكان لهم

(١) درس العربية في هذه المدرسة الشيخ ناصيف اليازجي والشيخ خليل اليازجي والشيخ ابراهيم اليازجي والشيخ سعيد الشرتوني والشيخ ابراهيم الحوراني والشيخ عبد الله البستاني .

(٢) سنة ١٩٠٥ .

(٣) يرى الصولي في (أدب الكتاب) أن تكون (لا) مقطوعة من (أن) أجود .

السلطان القوى والسؤدد ، وكانوا الأئمة فى العلم وكانوا الأئمة فى الحكمة . فاقرأ كتب علمهم ، واقرأ كتب حكمتهم .

والزمان يقول : إن العربية خير ما صنعت يداى (وإن الدهر لصنَّع) وإنها لخير طرفة أطرفتها الناس ، والزمان بالخير — وإن جاد — شحيح . فالعربية الصنع العبقرى للدهر ، والعربية هى الدرة اليتيمة أو كنز الزمان ضن به كل الضن ثم سخا .

وإذا كان للنفوس العربية فى الجزيرة وهى نفوس تجسمت من القوة أو تكونت منها القوة ، وهى نفوس تعالت وتعززت فنشأت فى الدنيا ألفاظ العلو والعزة وهى نفوس صفت وصرحت ، وما صفاء سواها وصراحتها إلا كدر ولبس — إذا كان لهذه النفوس فضل على لغتها إذ كانت منجمها الذى منه بدت فلهذه اللغة البينة المحكمة فضل على تلك النفوس ، فقد أعطى بيان اللغة وإحكامها أهل اللغة ما أخذته منهم ، وقد أحسن الألماس(١) الشع إلى منجمه ، فهذا كون ذاك ، وذاك نور هذا .

وإن العربية لو لم تكن الإبداع كله ولو لم تكن الجمال الأجمل ، ولو لم تكن اللغة المصطفاة ، ولو لم تك لغة عجباً ، ما اختارها الدهر لقرآنها و [الله أعلم حيث يجعل رسالته] ولم تستطع ألفاظها الاستقلال بمعانيه ، وكل معنى فيه يأبى أن ينزل إلا فى أكرم لفظ ، وكل مقصد من مقاصده لا يقبل إلا أعجب أسلوب . ولن ينزل أهل السماء إلا فى ذروة العلياء . و (الكتاب) — وإن علا — حتى أظل (سدرة المنتهى) قد أدناه وقد جلاه نور بيانه حتى أرانا إياه ، والشمس قد علت وقد ابتعدت ، وهل يحيي وهل يضيء هذى الأرض إلا الشمس .

ويقول النشاشيبى فى رثاء كبير عراقىّ فى خطبة(٢) :

قالوا : ابكه وإلا غضبت عليك عربيتك .

أعوذ بمحمد ، أعوذ بالعربية من غضب العربية .

وهى لى فى حياتى ومماتى إلا هى ؟

وهل معتصمى وشرفى ومجدى فى الوجود غير عربيتى ؟

وهل سموت وكرمت عند العظماء ، وعند الفضلاء ، وعند الملوك إلا بها ؟

أنا لا أشترى رضاها هذى الدنيا بحذافيرها (استغفر الله) ولا الآخرة .

أعوذ بالعربية من غضب العربية .

(١) الهمزة واللام فيه أصليتان لا كما ظن صاحب القاموس فعد ذلك لحناً . وقد وجدت الألماس فى فائق الزمخشرى ونهاية ابن الأثير .
(٢) سنة ١٣٤٨ .

أنا خادمها ، أنا عبدها ، أنا عبد لغتها ، أنا عبد قرآنها ، أنا عبد محمدها .

أنا سيد لكل حر سيد بهذه العبودية .

أعوذ بالعربية من غضب العربية .

وقد شاء فى هذا الشهر حضرة صاحب الفخامة رئيس الجمهورية اللبنانية (الشيخ بشارة الخورى) ووزيره الأكبر حضرة صاحب الدولة الأستاذ (رياض الصلح) وحكومته ، وحضرة أمير النثر والناثرين وسيد البلغاء صاحب (الرسالة) الأستاذ (أحمد حسن الزيات) أن يعطوا خادماً من خدام هذه العربيــة — وهو الذى تلوت قوله آنفاً — (وساماً)(١) فأعطوه . واليقين كل اليقين أنهم نظروا إلى إخلاصه فى حبها لا إلى مقدرته ؛ فالرجل عند التحقيق ليس هناك ، وهو صاحبى ، وأنا من أعرف الناس به . والمنصف يقول الحق ويقضى بالعدل ولو على نفسه [يا أيها الذين آمنوا ، كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم] .

السهمى

(١) راجع الرسالة (٧٢٥) الصفحة (٦٠٠) إن قول صاحبها فى دولة الفضل وسام كبير .

٧ – تفســـــير الأحلام

للعلامة سجموند فرويد
سلسلة محاضرات ألقاها في ڤينا
للأستاذ محمد جمال الدين حسن

كلا أيها السادة ، فالوقت مع هـذا لم يحن بعد . فحتى هذا الاعتراض القوى قد ينهار من أساسه إذا صوبنا إليه سهام النقد الحادة . فنحن إذا فرضنا أن هناك نزعات لاشعورية تكمن فى الحياة العقلية ، ثم اتضح أن عكس هذه النزعات بالضبط هو الذى يغلب على الحياة الشعورية ، فليس معنى هذا أننا أخطأنا التقدير ، فربما كان هناك متسع فى العقل البشرى للنزعات المتضادة والمتناقضات تكمن كل بجانب الأخرى . بل من المحتمل أن تغلب إحدى النزعات هو الذى يستلزم أن تكون النزعة العكسية لاشعورية . وعلى هذا فالاعتراضات التى تواجهنا كلها تتلخص فى أن النتائج التى وصلنا إليها فى تفسير الأحلام نتائج معقدة غير مستساغة . فأما كونها معقدة فإن فى استطاعتنا أن نرد على ذلك بأن نلفت نظركم إلى أنكم مهما كنتم مغرمين بالبساطة والسهولة فلن تستطيعوا بذلك أن تحلوا مشكلة واحدة من مشاكل الأحلام ، وعلى هذا يجب عليكم أن تشرعوا فى تهيئة عقولكم من الآن لتقبل نتائج صعبة معقدة . وأما كونها غير مستساغة فإنكم ترتكبون خطأ كبيرا عندما تجعلون من ميلكم للشىء أو عدمه مقياسا تحكمون به على الأشياء أحكاما علمية . فماذا يهمنا إذا كنتم ترون أن النتائج التى وصلنا إليها فى تفسير الأحلام نتائج غير سارة أو حتى على أسوأ الفروض نتائج بشعة تعافها النفس ؟ إن الواجب يقتضينا أن نطرح الميل والنفور جانبا إذا أردنا أن نقف على الحقيقة فى هذه الحياة . فإذا جاء أحد علماء الطبيعة فأثبت لكم أن الحياة العضوية قمينة بأن تختفى من وجه البسيطة عما قريب ، أيجد أحدكم من نفسه الجرأة على مواجهته قائلا : « كلا ياسيدى هذا لن يكون لأنى أكره هذا النظر كرها شديدا » ؟ أظنكم لن تقولوا شيئا من هذا القبيل حتى يأتى عالم آخر فيثبت للأول أنه قد أخطأ فى التقدير أو فى الحساب . والواقع أنكم عندما تنكرون كل ما هو بغيض بالنسبة إليكم فإن ما تقومون به هو تكرار لعملية بناء الحلم وليس فهما لرماه أو وصولا إلى معناه .

وعلى هـذا أظن أنكم ربما تأخذون على أنفسكم أن تغضوا النظر عن الطبيعة الجارحة للرغبات التى تخضع للرقابة فى الحلم ثم تحولون دفة المناقشة إلى أنه من غير المعقول أن نسلم بوجود مثل هـذا الجزء الكبير من الشر فى الطبيعة البشرية . ولكن هل تحقق تجاربكم فى الحياة صدق هذه العبارة ؟ إنى لن أقول شيئا عن هيئة الواحد منكم فى نظر نفسه . ولكن هل صادفتم من النية الحسنة بين رؤسائكم ومنافسيكم ، ومن الشهامة والكرم بين أعدائكم ، ومن الحسد القليل بين زملائكم ما يدفعكم إلى الشعور بأنه يتحتم عليكم أن تحتجوا إذا قلنا إن الأنانية الوضيعة تلعب دورا كبيرا فى الطبيعة البشرية ؟ أو ولا تعلمون كيف يعجز الرجل المادى أن يملك زمام نفسه فى كل ما يمس حياته الجنسية ؟ أو هل تجهلون أن كل ما نراه فى الحلم من انغماس فى الضلالات أو إفراط فى الشهوات ما هو إلا جرائم تحدث فعلا كل يوم ، ويرتكبها الناس وهم فى تمام اليقظة ؟ إن التحليل النفسانى لا يفعل فى هذه الحالة أكثر من أنه يعزز القول القديم لأفلاطون وهو أن الأخيار هم أولئك الذين يكتفون بأن يروا فى أحلامهم ما يرتكبه الأشرار فعلا فى حياتهم اليومية .

والآن دعوا الأفراد وانظروا إلى هذه الحرب الضروس [١] التى ما تزال تدمر أوربا : فكروا فى هذه القسوة والوحشية الطاغية كيف انتشرت فى أرجاء العالم المتمدن . أتعتقدون حقا أن فى استطاعة حفنة من الرجال الفاسقين الذين لا مبدأ لهم فى الحياة أن يقودوا العالم إلى هذا الشر المستطير إذا لم يكن ملايين الناس الذين اتبعوهم شركاء لهم فى الجرم أيضا ؟ أتجدون من أنفسكم الجرأة بعد ذلك على أن تنكروا وجود عنصر الشر فى الطبيعة الإنسانية ؟

أظنكم بعد هذا توافقون على أنه لا حاجة بنا إلى أن نطرح النتائج التى وصلنا إليها فى تفسير الأحلام ، حتى ولو أننا قد لا نستطيع أن نمنع أنفسنا من الشعور بأنها نتائج غريبة . وربما كان فى

(١) الحرب العالمية الأولى

إمكاننا فيما بعد أن نصل إلى تفهم معناها عن طريق آخر، ولكنا في الوقت الحاضر سنكتفي بأن نتمسك بالنتيجة الآتية وهي أن التحريف في الأحلام ينشأ عن الرقابة التي تفرضها بعض النزعات المعروفة للذات على الرغبات التي تجرح الشعور والتي تعتلج في صدورنا أثناء النوم. ومن الواضح أننا إذا سألنا أنفسنا عن مصدر هذه الرغبات التي تستوجب الزجر ولم لا تظهر إلا أثناء الليل، فسنجد أننا مازلنا في حاجة إلى البحث الطويل وإلى الأجابة على أسئلة كثيرة. على أنه من الخطأ ألا نوجه إلى إحدى النتائج التي تتضح من هذا البحث ماتستحقه من الالتفات. فهذه الرغبات التي تظهر في الأحلام والتي تقلق نومنا تكون مجهولة لدينا ولا نعلم عنها شيئاً إلا بعد القيام بتفسير الحلم، وعلى هذا فهي تستحق أن يطلق عليها «لا شعورية في الوقت الحالي» بالمعنى الذي استخدمنا به هذا الاصطلاح من قبل ولكنا يجب أن نعلم أيضاً أنها أكثر من «لا شعورية في الوقت الحالي» لأن الحالم كما رأينا مراراً ينكرها إنكاراً باتاً حتى بعد أن يقف على معناها عن طريق تفسير الحلم. وهذه الحالة تكرار للحالة التي صادفتنا من قبل عندما كنا نقوم بتفسير زلة اللسان «تفيقوا»[1] حيث أكد لنا الخطيب في حنق أنه لم يشعر نحو رئيسه بعدم الاحترام بتاتاً لا في ذلك الوقت ولا في أي وقت آخر. وبالرغم من هذا فقد تجاسرنا على الشك في قيمة هذا التأكيد وفرضنا بدلا من ذلك أن الشاب كان على جهل مستديم بوجود هذا الشعور في نفسه. ونحن نجد أنفسنا في مثل هذا الوضع في كل مرة نقوم فيها بتفسير حلم من الأحلام التي تعرضت لدرجة عالية من التحريف. وعلى ذلك فإن في إمكاننا الآن أن نفرض أن هناك نزعات وعمليات في الحياة العقلية لا نعرف عنها شيئاً. وهذا يعطي كلمة «لا شعوري» معنى جديداً فقد أصبح لا داعي كما رأيتم لأن نلصق بها الصفة «في الوقت الحالي» أو «مؤقتا» لأنها قد تعني أيضاً «لا شعوريا مستديماً» وهذه النقطة قد نعود إلى مناقشتها مرة أخرى فيما بعد.

(يتبع) **محمد جمال الدين حسن**

(١) روى فرويد قصة هذه الزلة في محاضراته عن «سيكولوجية الأخطاء» فقال: «أقام أحد الشبان حفلة غداء لتكريم رئيسه، وبعد أن تناول المدعوون الطعام وقف الشاب خطيباً بينهم يشيد بأخلاق رئيسه، وأخيراً = رفع الكأس في يده ليقول: «أيها السادة إني أقترح على (auf) حضراتكم أن (auf) تشربوا (an-zustossen) نخب رئيسنا». ولكن لسانه زل فقال: «أن تفيقوا (من الفواق auf-zustossen) وقد أرجع فرويد هذه الزلة إلى أن الشاب كان يضمر لرئيسه رغبة لا شعورية في السخرية منه. ولكن الشاب أنكر ذلك إنكاراً باتاً وقال إن لسانه زل نتيجة لتشابه الكلمتين في المقطع الأخير (zustossen) ولاستخدامه المقطع الأول (auf) قبل ذلك مرتين أثناء الحديث. غير أن فرويد يقول إن الزلة لم تكن نتيجة للتشابه بل إن التشابه كان الوسيلة التي مهدت الطريق لظهور الرغبة اللاشعورية إلى منطقة الشعور.

من قادة الإصلاح فى القرن الثالث عشر :

الشيخ شـــامل

زعيم القوقاز وشيخ المجاهدين

١٢١٢ — ١٢٨٧ ﻫ : ١٧٩٧ — ١٨٧١ م

للأستاذ برهان الدين الداغستانى

الداغستان :

تشغل بلاد الداغستان معظم القسم الشرقى من بلاد القوقاز ، وتمتد على الساحل الغربى لبحر قزوين . ما بين مصب نهر « ترن » شمالا وشبه جزيرة « أبشرون » جنوباً ، وتحدها قمم جبال القوقاز العالية مثل « البرز » و « قازبك » وممر « دريال » الشهير وبعض بلاد الكرجستان غرباً ، ومجرى نهر « ترن » شمالا وجمهورية اذربيجان جنوباً — هذه البلاد هى التى تسمى بالداغستان ، ومعنى الداغستان : بلاد الجبال . وليست هـذه المنطقة كلها جبالا كما يتبادر لأول وهلة ، ولكن طبيعة الجبال هى الغالبة فيها .

كانت هذه المنطقة المجاز الذى يجتازه الفاتحون الآسيويون إذا أرادوا الإغارة على أوروبا وبلاد الروسيين ، ويعبره الروسيون والتتار من الشمال إلى الجنوب إذا أرادوا التوغل فى آسيا . ولذلك كانت — دائماً — محط أنظار كل الفاتحِين ، والغزاة من قديم العصور إلى يوم الناس هذا .

وما كاد المسلمون يبدأون عهد الفتوح أيام عمر بن الخطاب رضى الله عنه حتى وصلت طلائعهم الظفرة إلى هذه البلاد سنة ٢٢ من الهجرة يوم جاء سراقة بن عمرو ، وبكر بن عبد الله ، وعبد الرحمن ابن ربيعة مع إخوانهم المجاهدين . ثم تتابعت الجيوش الإسلامية إلى هذه البلاد ، وتلاحقت وكانت « دربند » — عاصمة الداغستان — ثغراً من ثغور المسلمين التى يرابط فيها فى سبيل الله

أطماع الدول الكبيرة فيها :

استقر الحكم العربى الإسلامى فى هذه البلاد ، وسارت فى طريقها المهيأ لها فى هذه الحياة ، حتى إذا زال عنها سلطان العرب السياسى حافظت هى على تراث العرب الروحى : الإسلام وتعاليم الإسلام ، فكانت تستقل بشئون نفسها حيناً ، ويحتلها فاتح جديد أحياناً . حتى كان أواخر القرن العاشر الهجرى ، فاحتلها العثمانيون فى عهد « مراد الثالث » وهنا بدأت صفحة جديدة من تاريخ هذه البلاد ، فقد نبه احتلال العثمانيين لها أطماع الروسيين من الشمال ، وحفز الإيرانيين من الجنوب ، فصارت مثار أطماع هذه الدول الثلاث ، فكانت تحتلها هذه فترة ، وتلك فترة أخرى . وهكذا إلى سنة ١٢٣٢ ﻫ — ١٨١٦ م حيث تنازل الإيرانيون عن كل حق لهم بهذه البلاد وحكمها للروسيين ، واحتلها هؤلاء .

أثر هذا الاحتلال الجديد فى أهل البلاد :

وكان طبيعياً أن يكون لهذا الفاتح الجديد أثره وتأثيره فى البلاد وأهل البلاد ، فأخذ يتودد إلى الأهالى ويستميلهم بكل ما وسعته الحيلة من ترغيب وترهيب ، ويظهر أن سياسة الترغيب هذه لقيت نجاحاً إلى حد ما ، وقد صور الشيخ محمد طاهر القراخى الداغستانى هذه الفترة تصويراً دقيقاً إذ يقول : (١)

« وفى هذه الآونة — حوالى سنة ١٢٤٠ ﻫ (١٨٢٤م) — زاد اتصال الأهالى الداغستانيين بمستعمريهم طمعاً فيما يملكونه من مال وسلطان ، أو يمنحونه من قلادة أو وسام . وكان من أول نتائج هذا الاتصال أن ابتعد المسلمون شيئاً فشيئاً عن أحكام دينهم الذى أشربوا حبه ، وتغلغل فى أعماقهم ، ونسوا أوامره ونواهيه وأصبحوا مسلمين بأسمائهم فقط . وكانت البلاد فى هذه الفترة خالية من العلماء العاملين ، والمرشدين المخلصين الذين يحسنون الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر .

فانتهز هذه الفرصة بعض الجهال المتزيين بزى العلماء ، وعلى الخصوص قضاة وحكام منطقة « التركستان » وأخذوا يتصلون بالجماهير ليلقوا فى نفوسهم أن سياسة الحكومة القيصرية ، واستعمارها لبلادهم — ولعلهم كانوا يعتقدون ذلك ؛ — هو عين العدل والإنصاف !!.

(١) فى مقدمة كتاب له عن الشيخ شامل وغزواته .

وكان لعمل هذه الطائفة أثره الكبير في وسط الجماهير من المسلمين ، فازدادت صلاتهم بالمستعمر ، وأخذوا يرسلون شبانهم ليقوموا ببعض الوظائف والأعمال والدواوين الروسية ، ثم تطورت الأمور إلى أبعد من ذلك ، وصاروا يحبذون السياسة الروسية التي تنتهجها نحو بعض الممالك الإسلامية ، وجندوا أبناءهم في الجيوش الروسية الموجهة لغزو بلاد المسلمين » .

مولد الشيخ شامل :

في مطلع هذه الحوادث وفي هذا الجو المضطرب المتقلب ، ولد شامل سنة ١٢١٢ هـ (١٧٩٧ م) في قرية « كمرا » من قرى منطقة « آوار » من بلاد الداغستان ، ونشأ بها كما ينشأ لداته ، وتعلم في مدارس المساجد المنتشرة في قرى الداغستان ودساكرها وأخذ بحظ لا بأس به من الدراسات الدينية والعربية ، وكانت الطريقة النقشبندية قد بدأت بالانتشار في تلك الجهات على يد السيد جمال الدين القموق والشيخ محمد اليراغي ، فانتظم في سلك مريدي تلك الطريقة الصوفية ، فصار العالم الديني الصوفي في آن واحد . ولما بلغ شامل الثلاثين من حياته سنة ١٢٤٢ هـ (١٨٢٦ م) واستد ساعده . ظهر في قرية « كمرا » العالم المجدد المصلح الشيخ الغازي محمد الكمراوي الذي هاله ما وصلت إليه حال البلاد والعباد من التأخر الديني ، والفساد الخلقي ، وقام يدعو الناس إلى الرجوع إلى دينهم ، والتمسك بآداب وأحكام الإسلام ، فكان « شامل » من أول التابعين له والداعين بدعوته ، ولازمه ملازمة الظل ، وأصبح أحد مريديه ، وأعوانه المقربين إليه .

واستمرت هذه الدعوة الاصلاحية اللينة المسالمة تسير في طريقها المسلوكة تلقى القبول والسمع تارة ، والرفض والاباء والسخرية والازدراء تارات .

وفي سنة ١٢٤٥هـ (١٨٢٩ م) قرر (الغازي محمد الكمراوي) على أنه لابد لكل دعوة إصلاحية جديدة من قوة تسندها ، وإلا فلا أمل في نجاحها ، ولذلك بدأ يجند بعض الذين استجابوا لدعوته ويخوف بهم المخالفين له والباغين عليه . وفي هذه المرحلة أيضاً نجد « شاملا » أحد قواد الفرق التي كان يبثها الغازي محمد ، ويبعثها إلى الجهات للاغارة والتأديب .

وكثرت مصادمات الغازي محمد الكمراوي مع العصاة والمخالفين الخارجين على أحكام الدين . ومع رجال الدولة المستعمرة ، فكان يحالفه الظفر والنصر في بعض الأوقات ، ويخونه الحظ في أحيان؛ ولكن « شاملا » في كل الحالات كان الرفيق اللازم ، والمريد المخلص لأستاذه وقائده . ولما حاصر الروسيون الغازي محمد الكمراوي وأصحابه في قرية « كمرا » في يوم الاثنين الثالث من جمادى الآخرة سنة ١٢٤٨ هـ (٢٨ أكتوبر سنة ١٨٣٢ م) كان « شامل » مع الذين لازموه ، ودخلوا معه أحد المنازل في القرية وتحصنوا في داخله ، فلما اشتد الحصار ، وضيق الروسيون الخناق قام الغازي محمد ، وقذف بنفسه على الروسيين ، وقاتل حتى قتل أمام باب ذلك المنزل وسيفه في يده . ورأى « شامل » استشهاد قائده ، فقام في رفاقه خطيباً ، وقال ما مؤداه : « إذا كان الغازي محمد وقع شهيداً ، فلا ينبغي لنا أن نضيع وقتنا بالبكاء عليه ؛ ولعلنا نسير في الطريق التي سار فيها ونلحق به ... ... إن حور الجنة ينتظرن ذهابنا إليهن شهداء أبراراً . فبدلا من أن نموت كما يموت الجبناء في مكان مغلق مسدد نخرج ونقاتل حتى تأتينا الشهادة ، ونموت كراماً » . ثم شد يده على حسامه ، ورفع صوته بكلمة التوحيد — لا إله إلا الله — وقذف بنفسه إلى حيث الموت الشريف ، أو الحياة الكريمة ، وقاتل « شامل » قتال المؤمن الموقن بما عند الله للمجاهدين من إحدى الحسنيين . وأصيب في أكثر من موضع واحد من جسمه ، ولكنه كان مؤمناً بالله وطالباً للشهادة في سبيله ، فلم تخر عزيمته ولا ضعف ولا وهن ، فظل يحارب ويقاوم ، وانجلت المعركة ، ونجا شامل بنفسه ، ولكنه ما كاد يبعد عن هذا الجحيم ، ويسير في شعب من تلك الشعاب بضع خطوات حتى خارت قواه ، وضعف جسمه ، فلم يستطع مواصلة السير ، وقضى ليلته على قمة جبل هناك ، تحت رحمة القادر معرضاً لتقلبات الطبيعة القاسية في تلك الأصقاع .

كان الهواء قاسياً قارساً ، وكان « شامل » عاري الرأس ، مجروح الصدر ، ملطخاً بالدم جميع أجزاء جسمه ، ولكنه لم يك ليشتكي من هذه الحال التي صار إليها أو يتألم ، بل انه كان يشكر الله سبحانه ويحمده على لطفه في القضاء !! ...

وفي اليوم التالي أتته النجدة ، فجاء بعض أعوانه ، وأركبوه فرساً وساروا به الى حيث أهله وعياله وأسرته .

وبقي شامل طريح الفراش أسير الجراح ثلاثة أشهر كاملة ، لا يبرح بيته ، ولا يستطيع الوقوف على قدميه .

(يتبع) برهان الدين الداغستاني



حجرة التحمس !

ما دخلها قط إنسان إلا انقلب بعد دقائق مهما بدا من هدوئه أول الأمر متحمساً من أشد المتحمسين ؛ شهدت ذلك بنفسي وأنا قابع في ركن منها أتفرج من وراء منظاري على ما لم أستمتع بمثله في أية دار من دور اللهو ...

هي حجرة في ديوان إحدى الوزارات كتب على بابها : « المستخدمين » هكذا بالجر ! دخلتها والحر شديد وبنفسي ضيق وضجر فسرعان ما روح عني الضحك المتصل حتى لقد أنساني ضجري كما أنساني ما جئت له ...

الحجرة صغيرة مزدحمة بالقماطر أو ما يسميه الموظفون بالمكاتب ، وعلى كل قمطر ماعدا واحداً أضابير من الورق يعلم الله مبلغ ما قضته كل ورقة حيث رأيتها من عمر ...

وأمام كل قمطر — ماعدا واحداً غير ذلك الذي خلا من الورق — موظف ، وهم جميعاً فيما يخيل إلي من أعمارهم دون الأربعين وفيهم من هم دون الثلاثين ...

وكان أحدهم يقضم قضمات من رغيف أمامه ويأتدم بقطعة من الجبن ؛ وكان آخر يطالع في جريدة ؛ وكان ثالث يشرب القهوة ، واشتغل أربعة بأوراقهم ، وبقي واحد لا يعمل شيئاً قط فليست أمامه ورقة وليس في يده قلم أو صحيفة أو شيء مما يؤكل أو يشرب وكان ينظر في ساعته بين حين وحين ليرى متى ينصرف . . . وفهمت أنه من « المحاسيب » الذين يعينون لا ليعملوا ولكن ليرتزقوا ...

ودخل كهل هادىء الحركة فقصد أحد القماطر ورفع صاحبه رأسه فتجهم وتكره إذ رآه ، مع أن القادم كان يبسم له ويظهر الاحترام ويختار أرق الكلام ؛ ولكن سرعان ما ارتفع صوته وهو يقسم بالله العظيم ثلاثاً ويهز سبابته كما يفعل الخطيب أنه جاء من أجل مسألته ما لا يقل عن ثلاثين مرة ، ولا يدري ما يعمل بعد ذلك . وبلغ به التحمس أن أعلن أنه ذاهب من فوره إلى المدير ، وقالها بلهجة من ينذر بالموت كأن الذهاب إلى المدير عنده فيه القضاء على الموظف المسكين ، وخرج من الحجرة ، وما استدار ليخرج حتى أخرج له ذلك الموظف لسانه وضحك هو وزملاؤه ملء أشداقهم ...

ولم يكد يبتعد خطوة حتى دخل شاب يمسح العرق عن جبينه وصفحة وجهه بمنديله ، ودنا من موظف آخر وسأله لعله يذكر موضوعه ، فقال له في دماثة متكلفة وهو يكتم ضحكه « أبوه ياسعادة البيه ، مر علينا بعد ثلاثة أيام تجد كل شيء على ما يرام »؛ وتحمس سعادة البك تحمساً صامتاً تجلى في احمرار وجهه وإرساله الزفرات وانصرف ليمر بعد ثلاثة أيام ؛ وتفكه الموظفون بالسخرية من سعادته والتهكم عليه .

ودخل ثالث فسأل أحدهم عن أمر فقال له « عند فتحي افندي في الحسابات » ، فخرج ثم عاد بعد قليل ليقول إن فتحي افندي لا علم له بالأمر ، فقال له « اترك لي المسألة ومر بعد يومين أو ثلاثاً تجدها خالصة » فتفكر صاحبنا في الأمر قليلا ثم بدا له فتحمس وصاح قائلا « ماهذا ؟ أديوان حكومة هو أم دكان ؟ ودق القمطر بيده قائلا إنه ذاهب إلى المدير ، وانطلق والتحمس ملء بدنه ، وتحمس الموظفون في الضحك منه ...

ودخل رابع تبدو عليه الرزانة والتؤدة ، فسأل عن عبدالمنعم افندي من يكون فدله أحدهم عليه ، فمشى إليه في عسر بين القماطر وأخرج علبة سكائره ومد بها إليه يده وألح حتى تناول واحدة ، ثم كلمه في صوت خافت ، فتظاهر أنه يفكر ثم قال : مر غداً فإن عمر افندي غائب وهو الذي عنده مسألتك . فقال لقد جئت مرتين وعملي في حضن الجبل وأنا قادم هذه المرة في « تكسي » وهو عند الباب يدور عداده فهلا صنعت معروفاً فأعفتني ، فأجابه لا يمكن حتى يحضر عمر افندي ، وانصرف عنه إلى أوراقه ، فهز صاحب « التكسي » رأسه مرات وتنهد ثم قال وقد انقلب هدوؤه ثورة ، وإنه ليدق القمطر بيده دقات عنيفة : ماهذا ، مرة عمر افندي في

البنك ومرة عند الدرج ومرة فى أجازة ... هذا لعب ومسخرة وقلة ذوق ... وبدأ التحمس فى جميع حركاته وإشاراته ... وانطلق من الحجرة يتوعد ويتهدد .

وجاء الخادم يطلب عبد المنعم افندى لمقابلة المدير ، فذهب إليه ثم عاد بعد دقيقة ففتش فى قمطر عمر افندى وأخذ منه أوراقاً ، وخرج ثم رجع بعد قليل يقول لزملائه « خلصنا منه يا سيدى ، وأمضى المدير أوراقه وبلاش غلبة ونفخة كدابة »

ودخل بعد لحظة شيخ معمم ذو لحية تحيا بتحية الإسلام ثم ضم أطراف جبته بيده ومضى إلى أحدهم ينفذ فى عسر بين القماطر ، فقال له هل وجدت الورق ؟ فقال : لا زلت أبحث عنه . وما كاد ينطق بهذا حتى صرخ الشيخ قائلا ما هذا ؟ حتى متى تسخر من ذقنى هـذه يا ولد ؟ ونهض الأفندى مغضباً يدق القمطر بقبضته ويقول عيب ياسيدنا الشيخ لو لا أنك كوالدى ... ودق الشيخ بقبضته قائلاً العيب أن تكذب وأن تضيع الأوراق وتستخف بمصالح الناس وأوقاتهم ، وعاد الموظف يدق بيده دقات ويقول عيب يا سيدنا الشيخ ، والشيخ يعقب كل دقة منه بدقة من قبضته القوية حتى أيقنت أن القمطر لا شك متحطم ؛ ولكنى لم أحفل بالقمطر وإنما خشيت أن تنقلب الدقات لكمات أولطمات ، فقدبلغ تحمس الشيخ أقصاه وجحظت عيناه واصفر وجهه ودنا من الفتى ولولا أن سحبه إخوانه سحباً من وجه الشيخ لأهوى عليه بكلتا يديه ؛ وخرج الشيخ وهو يستنزل خيبة الله عليه .

وساد فى الحجرة الصمت لحظة ، ولم يفطن الموظفون إلى وجودى إلا وهم فى هذه الحال من الخزى والغم ، فسألنى أحدهم ما طلبى ، فأشرت إلى مكتب عمر افندى ، فقال إنه لن يحضر اليوم ؟ ومعنى ذلك أن أنصرف ؛ فنهضت للخروج وإنى لأقسم للقارىء بمحرجات الأيمان غير متحمس ، أنى ذهبت إلى تلك الحجرة من أجل مسألتى أكثر من خمسين مرة فى مدة سنتين ، وقضاؤها والله لا يستغرق ساعة ؛ ولم أستدر عند الخروج ، بل خرجت بظهرى مخافة أن يسروا عن صاحبهم بحركة منهم يكون فيها الزراية علىّ .

الخفيف

خواطر مسجوعة :

الشـــعر ...

إذا جاد الفكر ، بالمعنى البكر ، وكان الترجمان أميناً عادلا ، فألبس المعنى لفظاً معادلا ؛ واشترك القلب مع القلم فيما كتب ، وسرت الحياة فى كل وتد وسبب ؛ فحكى البيان ، حديث الوجدان ، وارتسم الإحساس ، على القرطاس ، وبرز السر المكتوم فى در منظوم ... فذلك هو الشعر ، وذلك هو السحر !

وما لا تنبض بالحس قوافيه ، فهو نظم مزهود فيه ، وما لا يصور حقيقة الحياة ، فهو من البضاعة المزجاة !

وليس بحراً ما لم تسمع تصفيق لجته ، وتسبيح موجته ، ولا بيتاً ما كانت دعامته واهية ، وأركانه متداعية !

والإحسان فى غير ما أطاع ، ليس بمستطاع . فالشعر يقرض قرضا ، وليس يفرض فرضا ؛ فإن اغتُصب ، أخطأ ولم يصب . وما يدعو ولا يدعى ، فهو إلى الاجادة أدعى ؛ فما دعاك فأطعه ، وما لم يدعك فدعه ؛ وإلا فإنك تمانى ما تمانى ، فى اغتصاب الألفاظ والمعانى ؛ مضللا فى الفيافى ، زاعما أنك رب القوافى !

والشعر أنفاس طروب ، أو نفثات مكروب ؛ فآناً تشمه نفحا ، وآناً تحسه لفحا ، وله فى الحالين هزته المؤثرة ، وقوته المبرة . فكم أيقظ غافياً ، وأسكر صاحياً ! وكم ثورة أقامها ، وثورة أنامها ؛ فجرد سيف الناصر ، وأغمد سيف النادر . وكم هز بالبيت محفلا ، وأعز به جحفلا ! وكم أعد به جيلا ، وسد به قبيلا ! وكم حمى وأجار ، فى غير تلك الديار ! !

(الزنكلون) **حامد بدر**

تحيـة بغـداد

للأستـاذ أنور العطار

* ألقيت فى الحفلة الكبرى التى أقامتها دار المعلمين العالية ببغداد احتفاء بالوفد الثقافى السورى فى آذار (مارس) ١٩٤٧ *

بغداد بالعابق المخضوضر النادى ردى علىَّ رياحينى وأورادى
وألهمينى حر القول ، خالصه ونضرى فى ثنايا الحفل إنشادى
هبى لى الشعر أنغاماً مسلسلة تهدى إلى الصيد من صحبى وأندادى
الساهرين على عقد قد انتثرت حباته بين أغوار وأنجاد
تخطفته رباع الأرض واطرحت نضيده صولة المستأسد العادى
جارت على سلكه نأياً وتفرقة وروعتـه بتعذيب وإبعاد
بنى العراق مثال الحب من عقدوا على هوى العرب أكباداً بأكباد
تمرسوا بالوفاء المحض واتشحوا من الوداد بألطاف وأبراد
يا نفحة الضاد هبى فى أباطحنا وزودينا العلى يا نفحة الضاد
عنا لها الدهر مزهواً بها فرحاً وظل مسترسلا فى ركبها الحادى
لأنت زاد الأولى ازدان الزمان بهم يا طيبـه فى اجتناء الحمد من زاد
وأشرق فى سماء العرب وائتلق كالشمس فى موكب بالنور وقاد
صوت العروبة دوى ملؤه أمل يجيش كالسيل فى رغو وازباد
يهيب بالقوم قد ألوى الزمان بهم فأصبحوا نهبة للرائح الغادى
إن لم تثوروا على الباغين قد نكثوا فلستم فى قراع الخطب أحفادى

* * *

ياجيرة العرب صان الله عقدكم وأسعدته الأمانى أى إسعاد
يا نسمة من جنان الخلد طيبة ونفحة من روابى الشام والوادى
يا دمعة الحب تهمى رقة وأسى كالعامرىّ بكى فى سفح توباد
فكانت الشعر والأشواق دمعته تصور الوجد من خاف ومن باد
حىّ الأخلاء والألاف قد رجموا ولم يكن طيفهم يوماً بمرتاد
نذراً علىـ وقد عادت سوانحهمـ لأصدحنّ بنايايِّ وأعوادى

* * *

ياحسن «دجلة» مسكوباً بهاء «بردى» غنى لها الكون ميداداً بميَّاد
وياسنا «بردى» بالشط منطلقاً ينساب فى نغمات البلبل الشادى
نهران إلفان ضمّ الحب شملهما جلا عن الشعر فى وصف وتمداد
يا رشفة منهما بالروح نسألها تحيى السقيمَ وتشفى غلة الصادى

* * *

فى ظل بغداد طاف العرب وائتلفوا وحققوا الوَحدة الكبرى بميعاد
تمازَجوا فى إخاء رائـع عجبٍ كما تمـازَجُ أرْواح بأجساد
بغداد فى الشام ألحان مرتلة تلذ ، والشام من أنغام بغداد

* * *

آمنت بالوطن المنصور جانبه آمنتُ بالعرب أمجاداً بأمجاد
صاغوا من الخير دنيا لا كفاء لها يقصها الدهر آباداً لآباد
طافوا على الأرض بالآيات ساطعة وزينوها بتبيان وإرشاد
هم المنار يسير السالكون به ويهتدون بنور الرسل الهادى
العرب فى ثورة للمجد شاملة علياء من صنع أبطال وآساد
حراس وحدتنا الكبرى ومن سفكوا أرواحهم بورك المفدِىّ والفادى

* * *

يا فرحة الملتقى أذكيتنى طرباً وجئت أحلى المنى فى أرض أجدادى
تركت قلبى مغموراً بنشوته سكران تصبيه أفراحى وأعيادى

(دمشق) أنور العطار

الأدب والفن في أسبوع

القراءة الأدبية في المدارس :

وافق معالي وزير المعارف على اعتماد الكتب الآتية للقراءة الأدبية بالمدارس الثانوية في العام الدراسي القادم :

« الأيام — الجزء الأول » للدكتور طه حسين بك ، و « الصديقة بنت الصديق » للأستاذ عباس محمود العقاد ، و « نداء المجهول » للأستاذ محمود تيمور بك ، و « الشاعر الطموح » للأستاذ علي الجارم بك ، و « عنترة » للأستاذ محمد فريد أبو حديد بك .

وذلك على أن يصرف إلى كل طالب كتاب من هذه الكتب على حسب ما يتقرر من طريقة التوزيع ؛ وقد قصد بذلك أن تتصل أفكار الطلبة بالجو الأدبي العام ، فيقرأوا كتباً مؤلفة للجميع لا خاصة بالمدارس ، ولأول مرة تمنح المدرسة تلاميذها كتباً لم توضع عليها العبارة المشهورة المألوفة « قررت وزارة المعارف استعمال هذا الكتاب بمدارسها » ، ولم يثبت على غلافها عديد من أسماء المؤلفين ، ثم أعضاء اللجنة التي راجعت الكتاب ، وقد بلغت هذه الأسماء في بعض الكتب ثلاثة عشر ، وكم ناء بها كتيب صغير !

وسينفذ هذا القرار الأخير القاضي بتقرير تلك الكتب الأدبية العامة لجميع تلاميذ المدارس الثانوية ، بشراء ما يلزم لهم منها ، أي أن وزارة المعارف ستنزل إلى السوق الحرة كأي من الناس فتشتري لتلاميذها هذه الكتب بأثمانها ، فتخرج بذلك على ما تتبعه من طبع الكتب الدرسية المقررة بالمطبعة الأميرية وتسعيرها على حسب نفقات الطبع المرتفعة ، تلك الطريقة التي يستفيد منها المؤلفون ، لا من حيث المكافأة القليلة التي ينالها كل منهم ، بل من طبعها للمدارس الحرة بنفقات أقل من نفقات المطبعة الأميرية وبيعها بالسعر الرسمي المقرر ، مما كان يؤدي إلى كثرة المؤلفين والمراجعين للكتاب الواحد .

ولا شك أن قرار وزارة المعارف الأخير ينطوي على كثير من المزايا الأدبية ، في تثقيف الطلبة ، والخروج بهم عن نطاق المواد الدراسية المحدودة ، وتعويدهم القراءة الأدبية النافعة ؛ وينطوي أيضاً على رغبة مشكورة في تشجيع المؤلفين ، وإن كان الذين اختارت لهم الوزارة كتباً في غنى عن التشجيع ، ولعله كان يصادف موقعه لو كان بينهم من هو أحوج إليه مع جدارته ولا يستطيع أحد أن يقول إن الإنتاج القيم محصور في طبقة معينة من المشهورين أو غيرهم .

قصص من السودان :

لست أدري أكان مقصوداً ، أم جاء عفواً ، ولكنه على أيهما كان جميلا ، أن يحاضر الأستاذ إسماعيل الأزهري رئيس الوفد السوداني ، بجمعية الشبان المسيحية ، بعد محاضرة مكرم عبيد باشا في جمعية الشبان المسلمين .

وكان السودان موضوع كل من المحاضرتين ، وكان حسناً ومفيداً أن يتحدث الأستاذ الأزهري عن السودان حديثاً يتناول فيه مختلف الشئون من ثقافية واجتماعية واقتصادية وسياسية ، ولا أدل على مبلغ الحاجة إلى مثل هذا الحديث مما بدأ به الأستاذ إذ قال إنه اجتمع في مصر منذ قليل بشاعر مصري زار السودان أخيراً ودار بينهما حديث قال فيه الشاعر إنه عند ما هم بالرحيل إلى السودان جعل يفكر حائراً : بأي لغة يخاطب القوم في السودان ؟ وكيف يتفاهم معهم ؟ ولكنه ما حل بالخرطوم وأم درمان حتى ألفاهم يتكلمون لغة عربية لا تقل إبانة عن لغة شمال الوادي ، بل إنه لقي هناك من الشعراء من طارحوه الشعر وجاروه في ميدان القريض ، ولما عاد إلى مصر كان من نتاجه قصيدة رائعة نشرت بصدر الأهرام . ولم يسم الشاعر ، ولكن كان مفهوماً أنه الأستاذ محمد الأسمر .

كان هذا الاستهلال ذا مغزى ، فإن إخواننا بالجنوب يعتبون علينا الجهل أكثرنا بهم ، وأظن أنا أعتبناهم ، فقد أصبحنا في السنوات الأخيرة غير ما كنا .

وأخذ الأستاذ الأزهري في حديثه عن شئون السودان . ومما يناسب المقام هنا ما ذكره من الجهود الثقافية التي بذلها المؤتمر السوداني إذ قال إنه أنشأ في خمس السنوات الأخيرة من المدارس الابتدائية بمختلف البلدان السودانية ضعف ما أنشأته الحكومة السودانية منها في خمسين سنة !

ولما كان عنوان المحاضرة الذي نشر بالصحف « قصص من السودان » فقد كنا نتوقع أن نسمع قصصا حقيقية ، ولكن كان المراد من كلمة « قصص » شئونا تتضمن وقائع تحكى في سياق الكلام .

أى الجيلين خير ؟ :

دعت مجلة « الهلال » إلى ندوتها ثلاثة من أعلام الأدباء ، هم الأستاذ عباس محمود العقاد واحمد أمين بك والدكتور أحمد زكى بك ، للمناقشة فى هذا الموضوع « أى الجيلين خير .. القديم أم الجديد ؟ » ، ونشرت هذه المناقشة فى العدد الصادر أول الشهر الحالى .

رأى الأستاذ أحمد أمين أن الجيل الحاضر خير فى جملته من الجيل السابق ، وأن مجموعة الأخلاق أرقى الآن مما كانت فى الجيل الماضى ؛ ووافقه الأستاذ العقاد على تفضيل الجيل الحاضر فى بعض نواحى الخلق ، ولا سيما الأخلاق التى تتعلق بالحرية الشخصية ، ولكن من المشكوك فيه أن تكافىء قوته ما زاد عليه من الواجبات والتكاليف ، لأن مشكلات الحياة المالية العامة ، والوطنية الخاصة ، ومعضلات الأخلاق والعقيدة ، التى تواجه الجيل الحاضر ، لم يكن لها نظائر واجهت الأجيال الماضية .

ويرى الدكتور زكى أن الجيل الحاضر من حيث النوع ، ومن حيث الكم أيضاً ، لا يمكن أن يقل عن الجيل الماضى بل يزيد فى العلم والثقافة والحضارة ، ولكنه يرى — من الجهة الروحية — أن فى أرواح القلائل من الجيل الماضى ما هو أرفع وأثمن مما فى أرواح الكثيرين من الجيل الحاضر ، ومثل لذلك بالتضحية فقال « كنا قبلا نضحى لأجل التضحية وحبا فيها ، وطلباً لهدف واحد ، بغير من أو غرور ، ولا نطلب على ذلك أجراً ، بل ننتظر من وراء ذلك الغرم ، ثم تطور معنى التضحية ، فصارت تضحية نرجو بها الثمن ، إما معجلا أو مؤجلا ، ثم تطور معناها مرة أخرى ، فصارت فى هذا العصر تضحية لها ثمن مضمون ... »

وتستمر المناقشة متفرعة من هذه الأصول ، إلى أن يقول الأستاذ العقاد : « وأيا كان الأمر فى الجيلين ، القديم والحديث ، فما لا شك فيه أن الإصلاح الإنسانى ، سواء كان فى أمة واحدة أو فى أكثر من أمة ، متوقف دائمًا على التضامن بين الجيلين .

وتنتهى المناقشة برجائهم ألا تخلو الأمة المصرية والأمم الشرقية عموما ، من صالحين بين الشيوخ ، وصالحين بين الشباب ، لتقوم دعائم الإصلاح على هؤلاء وهؤلاء .

وهكذا قال الجيل القديم — ممثلا فى أولئك الثلاثة الأعلام — كلمته فى المفاضلة بين الجيلين ، ويستطيع القارىء أن يستخلص من جملة آرائهم رجحان كفة الجيل الجديد ، ولكن الجيل الجديد لم يعلن رأيه فى هذا الموضوع فى جلسة ذات محضر ينشر كما حدث فى « الهلال » فليت ثلاثة أدباء من الجيل الجديد يفعلون ، ليسمع الآباء كلمة الأبناء .

سر الزخرفة العربية :

ألقى الدكتور بشر فارس مساء الخميس الماضى محاضرة فى « سر الزخرفة العربية » بالمعهد الفرنسى للآثار الشرقية ، وكانت هذه أول محاضرة يلقيها بالمعهد بعد تعيينه عضواً مصرياً فيه من الحكومة الفرنسية .

بين المحاضر أولا أن الزخرفة العربية فن له ذاتيته الابتداعية ولم يخضع للفن الفارسى الجامد ولا للفن اليونانى المتناهى الوحدات ، لأن الفن العربى زاخر بالحركة والحياة ، وهو إلى ذلك لا تنتهى حدوده ، بحيث لو وضعت بجانب الزخرفة مثيلاتها اتحدت معها .

ثم تساءل : لماذا كان للزخرفة العربية تلك الخصائص ، ولماذا برع المسلمون — من عرب ومستعربين — فى الزخرفة وخصت بهم زخرفتهم ؟

أورد الرأى المشهور القائل بأن الفنانين المسلمين ركزوا جهدهم الفنى فى الزخرفة لما حرم عليهم تصوير كل ذى روح ، ثم فند هذا القول بأنه ليس فى أصول الإسلام رأى قاطع بهذا التحريم ، وعلى فرض أى الأمرين ، الإباحة أو التحريم ، فقد وجدت صور كثيرة ذات أرواح ، إنسانية وحيوانية ، صورت فى العصور الإسلامية .

وانتهى من ذلك بأن أرجع سر الزخرفة العربية وبراعة المسلمين فى أشكالها وألوانها إلى جملة العقيدة الإسلامية فى تفتيشها عن الله وخضوعها لحكمه وتعظيمها له ، فكان الفنانون يتجهون

إليه فيا يرسمون ، وكانوا يجملون برسومهم المساجد والمصاحف ابتغاء النبطة فى السماء التى هى خير وأبقى من متاع الدنيا .

ولم يكن فن الزخرفة قاصراً على الأشكال والألوان ، بل كان أيضاً فى الخطوط كالخط الكوفى مثلا الذى كان له حظ كبير من الفن الزخرفى تم له من الفكرة الإلهية ، إذ كانت تكتب به آيات القرآن الكريم ؛ وقد انحدر عن هذه الفكرة أيضاً تحسين الخط العربى فى العصور الإسلامية الأخيرة ، فقد كان الخطاطون يبتغون الثواب من الله على كتابتهم المصاحف بالخط الجميل

العامية وبرنامج الإذاعة :

أخذنا على محطة الإذاعة المصرية - فى عدد مضى من الرسالة - الإكثار من الإذاعة العامية فى التمثيليات والأحاديث ، سواء العامى منها والعربى « المكسر »

وفى الأسبوع الماضى اطلعت على إجابة للأستاذ محمد فتحى بك المراقب العام للإذاعة المصرية ، عن أسئلة وجهتها إليه مجلة « دنيا الكواكب » اللبنانية ، منها هذا السؤال . « نطالع فى الصحف المصرية شكوى مستمرة من ضعف برنامج الإذاعة المصرية ، فما هى الطرق الفعالة لتلافيها ؟ »

أجاب الأستاذ فتحى بأن الجمهور متباين المزاج مختلف الطبقات ، ومن الصعب إرضاؤه كله ببرنامج واحد ، وإن الاذاعة فى بريطانيا واجهت هذه المشكلة وعمدت إلى حلها بأن قسمت الشعب البريطانى إلى ثلاث فئات ، عامة ، ومتوسطة ، وعالية ، ثم خصت كل فئة من هذه الفئات ببرنامج على محطة مستقلة إلى أن قال : « ونحن لو اتبعنا هذه الطريقة لاستطعنا أن نقضى على تلك الشكوى المستمرة قضاء مبرما فاستطعنا إذا وجدنا ثلاث محطات أن نقدم لكل من طبقات الشعب الثلاث برنامجاً خاصاً يتوافق مع مستواه وتفكيره ، حيث نقدم للأولى رقصاً بلدياً وزجلا وحديثاً باللهجة العامية وأحاديث دينية ، بينما نقدم للطبقة الثانية وهى طبقة المثقفين برنامجاً يشتمل على معالجة الحالة السياسية والأخبار الدولية والمواضيع الاجتماعية والأبحاث والروايات الأدبية ، وفى الوقت نفسه نذيع للطبقة العالية برنامجاً يحتوى على موسيقى كلاسيكية وأحاديث وقصصاً لبرناردشو وشكسبير وأعلام الفلسفة »

فترى هذا الحل المترتب على الإمكان يتضمن إرضاء طبقة الشعب بالتحدث إليه باللهجة العامية ، فهل هذه الطبقة تشكو من العربية حتى نترضاها بالعامية ؟ أو من الحق أن الشعب يستثقل العربية الفصيحة ؟ إننا نعتقد أن أسماع الشعب لا تنفر إلا من الأساليب غير البينة والإلقاء الردىء ، وأنه من الممكن أن تجتذب الأسماع بالبيان السهل الواضح والإلقاء الحسن ، وإذا كنا نكتب الحكايات والقصص للأطفال بلغة عربية فصيحة سهلة فيستسيغونها ويقبلون عليها ، أفلا نستطيع أن نخاطب الكبار فى الإذاعة بمثل لغة الأطفال على الأقل ؟ وكيف إذن يكون تثقيف الجمهور ورفع مستواه ؟

على أن للشكوى من برنامج الإذاعة وجهاً آخر غير تباين الأذواق الذى تمنى الأستاذ فتحى وجود ثلاث محطات لمواجهته بتنويع البرامج ، ذلك الوجه هو قصور المحطة ذاتها وضنها على تحسين البرنامج وتجديده ، ويتلخص ذلك فى تكرار التسجيلات بل دوامها وخلودها . . وفى اختيار الأرخص والمرضى عنه ، ولقد كان من المخجل — على سبيل المثال — أن تريد المحطة إحياء ذكرى شوقى فلا يكون ذلك إلا بإدارة « اسطوانات » قديمة لعبد الوهاب من شعر أمير الشعراء !

المحاضرات بالمصطاف :

حل الصيف ، واشتد القيظ ، واتجهت الأنظار إلى المصايف ، وفى مقدمتها الاسكندرية ، وقرأنا فى الصحف أن بلدية الاسكندرية قد اهتمت بتيسير وسائل الاصطياف فى هذه المدينة وضواحيها ، وأنشأت مكتباً لذلك ، وقد أذاع هذا المكتب بياناً بالحفلات الكبرى التى تقرر إقامتها فى هذا الصيف ، وهى حفلات رياضية وتمثيلية وموسيقية .

قرأت ذلك فى الصحف ثم رجعت البصر إلى القاهرة ، فأسفت لأنها تكاد تخلو فى الصيف من النشاط الفكرى الذى كان يجرى قبل هجوم الحر فى أنديتها ومجتمعاتها ومعاهدها محاضرات ومناظرات فى مختلف الفنون والشئون .

ثم استمعت إلى الدكتور ابراهيم جمعة مدير نشر الثقافة بوزارة المعارف يحدث بالمذياع يوم الاثنين فى « الاصطياف فى الاسكندرية قديماً » سمعته يقول إنه كان بشاطىء الاسكندرية فى

العصر الروماني حمامات وأحواض للسباحة، يأخذ الجسم حقه من الرياضة فيها، ثم يستريح في بعض الحجرات التي زودت بالفرش والكتب، أو في الحدائق ذات الجواسق الجميلة، أو في استماع المحاضرات العامة ببعض القاعات التي أعدت لهذا الغرض في أبنية الحمامات .

فيا ليت بلدية الاسكندرية أو أية هيئة أخرى تلتفت إلى ناحية الثقافة في المصطاف، فتعيد إليه ما كان في العصر الروماني من تنظيم المحاضرات العامة، مستغلة في ذلك وجود بعض رجال الأدب والفكر هناك، ويا ليتني أكون معهم فأفوز فوزاً عظيماً.

« العباسي »



الصداقة والعلاقة :

قال أبو حيان التوحيدي : سألت أبا سليمان المنطقي عن الفرق بين الصداقة والعلاقة فقال : « الصداقة أذهب في مسلك العقل، وأدخل في باب المروءة، وأبعد من نوازي الشهوة، وأنزه عن آثار الطبيعة، وأشبه بذوي الشيب والكهولة، وأرمى إلى حدود الرشاد، وآخذ بأهداب السداد، وأبعد من عوارض الغرارة والحداثة . فأما العلاقة فهي من قبل العشق والمحبة والكلف والشغف والتتيم والتهيم والهوى والصبابة والتدانف والتشاجي، وهذه كلها أمراض أو كالأمراض بشركة النفس الضعيفة والطبيعة القوية، وليس للعقل فيها ظل ولا شخص، ولهذا تسرع هذه الأعراض إلى الشباب من الذكران والأناث وتنال منهم وتحول بينهم وبين أنوار العقول وآراء النفوس وفضائل الأخلاق وفوائد التجارب، ولهذا وأشباهه يحتاجون إلى الزواجر والمواعظ ليفيئوا إلى ما فقدوه من اعتدال المزاج والطريق الوسط، على أن العشق والمحبة وما يحويهما فيه كلام من نحو آخر ... » .

كيف يسوس الرجل زوجه :

وقفنا في هذا على كلمة للشيخ الرئيس أبي علي بن سينا كأنه كتبها لهذا العصر، وليست هذه الكلمة إلا دلالة على أن ما بين المرء وزوجه إنما هو هو في كل زمان وفي كل عصر .

قال الشيخ الرئيس :

« جماع سياسة الرجل أهله ثلاثة أمور لا تدعه، وهي الهيبة الشديدة، والكرامة التامة، وشغل خاطرها بالمهم . أما الهيبة فإن الزوجة إذا لم تهب زوجها هان عليها، وإذا هان عليها لم تسمع لأمره ولم تصغ لنهيه، ثم لم تقنع بذلك حتى تقهره على طاعتها فتعود آمرة ويعود مأموراً ... وذلك هو الانتكاس والانقلاب، والويل حينئذ للرجل ماذا يجلب له غرورها وطغيانها ويسوقه إليه غيها وركوبها هواها من العار والشنار والهلاك والدمار . فالهيبة رأس سياسة الرجل أهله وعمادها، وهي الأمر الذي ينشد به كل خلة ويتم بتمامه كل نقص ولا يتم دونه أمر فيما بين الرجل وأهله، وليست هيبة المرأة لبعلها شيئاً غير إكرام الرجل نفسه وصيانة دينه ومروءته وتصديق وعده ووعيده

أما كرامة الرجل أهله فمن منافعها أن الحرة الكريمة إذا استجلت كرامة زوجها دعاها استدامتها لها ومحاماتها عليها وإشفاقها من زوالها إلى أمور كثيرة جميلة لم يكد الرجل يقدر على إصارتها إليها من غير هذا الباب إلا بالتكلف الشديد والمؤونة الثقيلة، على أن المرأة كلما كانت أعظم شأناً وأفخم أمراً كان ذلك أدل على نبل زوجها وشرفه وعلى جلالته وعظم خطره . وكرامة الرجل أهله على ثلاثة أشياء : في تحسين شارتها وشدة حجابها وترك إغارتها ...

وأما شغل الخاطر بالمهم فهو أن يتصل شغل المرأة بسياسة أولادها وتدبير خدمها وتفقد ما يضمه خدرها من أعمالها . فإن المرأة إذا كانت ساقطة الشغل خالية البال لم يكن لها هم إلا التصدي للرجال بزينتها والتبرج بهيئتها ... » .

الكتابة والحديث :

يقول الكاتب الأمريكي المعروف أوليفار هولمز في كتابه حديث المائدة : « الكتابة كالرمي بالنشاب، قد تصيب من قارئك موضع الفهم وقد لا تصيبه، ولكن الحديث كالتمرن على الرمي، متى كان الغرض أمامك وفي الوقت متسع ضمنت لنفسك الإصابة »

أرمني وقبطي :

جاء في كتاب مختصر تاريخ الإسلام للحافظ الذهبي : « وفي سنة ٥١٥ للهجرة مات بمصر الأفضل أمير الجيوش شاهنشاه أحمد بن أمير الجيوش بدر الأرمني وكانت ولايته ٢٨ سنة على الديار المصرية ، واستولى الآمر على حواصله كلها ولم يسمع في الدنيا بمثلها كثرة ، فكانت دوابه تقدر باثني عشر ألف ألف دينار ، وكان ابن المواشي التي له يغل في العام ثلاثين ألف دينار » وذكر ابن خلكان أن الأفضل « خلف ألف ألف دينار ومائتين وخمسين أردب دراهم وخمسة وسبعين ألف ثوب ديباج » .

وجاء في كتاب الذيل لتاريخ الدول « وفي سنة ٧٠٣ قبض السلطان على الوزير علم الدين بن زنبور وصودر بعد الضرب والعذاب فكان المأخوذ منه من النقد ما يزيد على ألفي ألف دينار ، ومن أواني الذهب والفضة نحو ستين قنطاراً ، ومن اللؤلؤ نحو أردبين ، ومن الحياصات الذهب ستة آلاف ، ومن القماش المفصل نحو ألفين وستمائة قطعة ، وخمسة وعشرين معصرة سكر ومائتي بستان وألف وأربعمائة ساقية ، ومن الخيل والبغال ألف ، ومن الجواري سبعمائة ، ومن العبيد مائة ومن الطواشية سبعون إلى غير ذلك ، وكان علم الدين هذا قبطياً ثم ارتد عن دينه ... » .

الطبيب الكامل :

قال علي بن رضوان الطبيب المتوفى سنة ثلاث وخمسين وأربعمائة في كتابه الأصول :

« الطبيب على رأي بقراط هو الذي اجتمعت فيه سبع خصال

الأولى : أن يكون تام الخلق صحيح الأعضاء حسن الذكاء جيد الروية عاقلا ذكوراً خير الطبع .

الثانية : أن يكون حسن الملبس طيب الرائحة نظيف البدن والثوب .

الثالثة : أن يكون كتوماً لأسرار المرضى لا يبوح بشيء من أمراضهم .

الرابعة : أن تكون رغبته في إبراء المرضى أكثر من رغبته فيما يلتمسه من الأجرة ، ورغبته في علاج الفقراء أكثر من رغبته في علاج الأغنياء

الخامسة : أن يكون حريصاً على التعليم والمبالغة في منافع الناس .

السادسة : أن يكون سليم القلب عفيف النظر صادق اللهجة لا يخطر بباله شيء من أمور النساء والأحوال التي شاهدها في منازل الأغنياء فضلا عن أن يتعرض لشيء منها .

السابعة : أن يكون مأموناً ثقة على الأرواح والأموال لا يصف دواء قتالا ولا يعلمه ، ولا دواء يعالج الآجنة ، وأن يعالج عدوه بصدق نية كما يعالج حبيبه ... » .

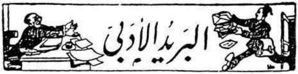
الصحف الأجنبية في أمريكا :

ظهر من إحصاء أخير أذيع بأمريكا أن عدد الصحف الأجنبية اليومية والأسبوعية والشهرية التي تصدر هناك يبلغ ١٠١٠ صحيفة تطبع في ٣٩ لغة مختلفة ، منها ١٣٠ صحيفة باللغة الأسبانية و ١١٥ باللغة الألمانية و ١٠٢ باللغة الإيطالية و ٧٩ باليونانية و ٥٦ باللغة العبرية و ٥٤ بالمجرية و ٥٢ بالتشكوسلوفاكية و ٤٣ بالفرنسية و ٤٢ بالسويدية و ١٤ باللغة الصينية و ١٢ باللغة العربية و ٩ باليابانية

وينشر العدد الأكبر من هذه الصحف في ولاية نيويورك إذ يبلغ مجموع الصحف الأجنبية التي تصدر فيها ٢٩٠ صحيفة وتحتل شيكاغو المكان التالي إذ يصدر فيها ٩٤ صحيفة ومجلة

يقول الأحباش في أمثالهم :

* إذا قال لك السيد إن نصف الليل هو الظهر فاحلف له أنك رأيت الشمس .
* إذا رأيت الملك راكباً حماراً فقل له ما أجمل هذا الجواد .
* متى رأيت الكلب غنياً فقل له يا سيدي الأسد .
* الوطن قبل الروح لأنه مقر راحتك .
* فرق الذين تريد أن تحكمهم .
* حين تكون البضاعة مرغوبة يكون المشتري أعمى .
* صناعة الحلاقة تتعلم على رؤوس اليتامى .
* الله قريب من رأس الضيف .
* هب ما تملك لضيفك .



مناظرة لا داعي لها :

أنا ما كتبت كلمتي (إلى علماء الشـــيعة) لأجدد شقاقا ، ولـكن لأحدث وفاقا ، وما أردت أن أثيرها داحسية بين السنة والشيعة ، ولـكن أردت أن ننسى أننا كنا سنة وشيعة ونعود أمة واحدة ، تستقى من النبع الصافى ، وترِد الورد العذب ، وتسلك الطريق المستقيم ، وتدع السبل المنحرفة ، وتأخذ الدين من الكتاب وما أثر من تفسيره ، والسنة وما صح من أخبارها ، وتعرف لسلف هذه الأمة فضلها علينا وعلى الإنسانية كلها ، وما ظننت أنى قلت شيئاً يسوء مسلماً ، وكيف وأنا أدعو إلى الوحدة ، وأرجو الوئام ؟

لذلك قرأت بعجب بالغ هذا السيل من المقالات الذى اندفق على الرسالة من العراق : مقالة من القرنة بامضاء (عبد الحسين الراضى) يقول فيها . « ليكف (أحمد أمين) عن النبز واللمس بـكف السبيتى وغيره » . ومقالة من بغداد بامضاء (عبد الأمير السبيتى) ينكر علىّ قولى إن الشيعة حزب سياسى نشأ لتأييد أحد المرشحين للخلافة ، ويدلنى على كتب سبق أن قرأت أكثرها لأرى « إذا كان الشيعة جمعية سياسية أم أنها أكثر الطوائف الإسلامية تمسكا بمبادىء محمد وأشـــدها التصاقا بالدين الحنيف الخ » ويسألنى لماذا لم أثر على أحمد أمين لما ألف فجر الإسلام وثرت على السبيتى لما رد عليه . أى لما سب الصحابة والأئمة وطعن فى الصحيحين ... ويقول عنى ما نصه : « لو نظر إلى الـكتاب (أى كتاب السبيتى) بغير العين التى نظر إليه بها لرأى المؤلف معتمداً فى كل ما كتبه (فى كل ما كتبه ...) وقاله على كتب معتبرة عندكم معشر أهل السنة (؟ !) وعززها بأدلة معقولة (؟ !) ثم يسب فى المقال معاوية وأبا هريرة ومروان أكثر مما سبهم صاحب الـكتاب . ومقالة من بغداد بامضـاء (رشيد عباس الصفار) ينكر على فيها قولى إن الشيعة حزب سياسى ويفيض فى ذلك ، ويطعن فى بيعـة أبى بكر ، ويعجب من تسامح إخوانه أهل السنة « فى إطلاق إسم الصحابى بصورة موسعة على كثير ممن يبرأ منهم جل الشيعة ويمقتهم كثير من أهل السنة أمثال ... أبى هريرة الوضاع ومروان بن الحـكم عدو الإسلام .. ومعاوية داعى البغى والشقاق والمغيرة .. وعمرو بن العاص وكثير ممن لا يوثق بهم » .. ويقول بأن الشيعة « لا يمكنها الأخذ بمصنفات أهل السنة مع وجود تفاسيرها المعتبرة وأحاديثها المأثورة عن أهل البيت الطاهر الخ» وسبب ذلك « تسامح أهل السنة فى تخريج كثير من الأحاديث فى صحاحهم وغيرها عن كثير من الخوارج والشـذاذ والمبتدعة والوضاعين الخ كمروان وأبى هريرة والمغيرة الخ » ثم يتكلم عن مسألة سب الصحابة فيقول « ثم على فرض جراءة بعض الشيعة على انتقاص بعض الصحابة أيكون ذلك سبباً لتكفيرهم أو خادشا فى إسلامهم ؟ »

وسائر المقالات لم تخرج عن هذا ، ولا يخلو شىء منها من التعريض بى أو التصريح بغمزى وأنا أسامح من سبنى ، ولن أقول فى الموضوع أكثر مما قلت ، ولا أظن أن هذه المناظرات مكانها الرســالة ، التى أنشئت لغير هذا إنما مكانها (دار التقريب ...) التى (قالوا) إنها فتحت له . وأنا أعلن أنى لم أرد الخلاف ولا الانتقاص ، وما أردت إلا الإتفاق بإخلاص . وشرعت طريقاً إليه لا مناص لمن أراده من سلوكه . ولـكن ما ذا أعمل إذا كان إخواننا هؤلاء لا يريدون سلوك الطريق ؟ !

على الطنطاوي

نسبة خاطئة يكذبها التاريخ :

استوقفت نظرى فى صـفحة ٣٤٨ من كتاب القضايا الـكبرى للأستاذ عبد المتعال الصـعيدى . عند قوله — وكان ابن تيمية يخطب يوم الجمعة ونزل درجة من درج المنبر وقال إن الله ينزل إلى سماء الدنيا كنزولى هذا .

وهذه المسألة ذكرها ابن بطوطة فى رحلته وعنه نقلها المتحاملون على شيخ الإسلام ، وقد قال المحققون إن ابن بطوطة قدم الشام وشيخ الإسلام مسجون فكيف رآه يخطب بل هذا كذب مراد به الطعن على شيخ الإسلام ابن تيمية . وهذا لا يقول به شيخ

الإسلام لأنه من مذهب المجسمة وابن تيمية ينكره أشد الإنكار — تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

ليس كمثله شيء وهو السميع البصير — ورجائي إلى الأستاذ أن يراجع ذلك ثم يوافينا برأيه السديد الموفق إن شاء الله

عبد الله البكري

الى الجارم بك :

أوردتم في كتيبكم الأخير « الشاعر الطموح » الأبيات الآتية منسوبة إلى « سيف الدولة » وهي في وصف قوس قزح :

وساق صبيح للصبوح دعوته   فقام وفي أجفانه سنة الغمض
يطوف بكاسات العقار كأنجم   فمن بين منقض علينا ومنفض
وقد نشرت أيدي الجنوب مطارفاً   على الجو دكناً والحواشي على الأرض
يطرزها قوس الغمام بأصفر   على أحمر في أخضر تحت مبيض
كأذيال خود أقبلت في غلائل   مصبغة والبعض أقصر من بعض

والحقيقة أنها للشاعر ابن الرومي وهي من أروع ما أنتجته قريحته في وصف الطبيعة . وقد جاءت في ديوانه الذي عني به الأستاذ كامل الكيلاني .

هذا إلى أن حضرتكم قد ذكرتموها في كتاب المطالعة التوجيهية في باب المقارنات الشعرية مقرونة بنادرة بين ابن الرومي وابن المعتز في المفاضلة بينهما .

« القاهرة » جميل

ذكرى الرافعي :

لما كنت أعرف مكانة الرافعي في الأدب وأعلم بلاءه وجهاده في سبيل الاسلام فقد كنت أنتظر ذكرى وفاته العاشرة وأنا راج أن يكون أصدقاؤه وتلاميذه قد أعدوا لإحيائها عملا لا كلاما فيتداعوا لنشر كتبه التي طال على إهمالها الزمن فيطبع « أسرار الاعجاز » و « أغاني الشعب » و « مجموعة » شعره الكبرى وجزءاً رابعاً لوحي القلم فإن هناك ما يقوم به من مقالاته المبعثرة في كثير من الجرائد والمجلات وكتبه الخاصة إلى أصدقائه ، كنت أرجو أن يكون هذا أو بعضه فإن لم يكن فأحاديث عن فنه وجهاده من مثل الأستاذ شاكر أو الأستاذ الطنطاوي وإنهما ليكتبان الآن في كل شيء وليس فيما يكتبان فيه ما هو أجل من الرافعي ومعانيه : الدين والأدب الفني الرفيع والعزة الاسلامية فلما جاءت الذكرى كتب الأستاذ أبو رية كلمة يشكر عليها فقد كانت صريحة منصفة إلا أنه لم يشر بشيء عملي مع أنه ذكر اسم الكتاب العبقري « أسرار الإعجاز »

إن الورق رخيص والكتب من كل لون تنشر ويدعى لها ، فهل كل هذه الكتب أثمن من كتب الرافعي ؟ وهل كتبه أهون من أن تصدر مع هذا السيل من الكتب ؟

« الرمل » محمود الطاهر الصافي

إلى الجاحظ :

قرأت ما كتبته في الرسالة تعقيباً على إحدى مقالاتي في البلاغ . والحق معك . فإليك تحيتي وثنائي .

زكي مبارك

حول خطأ عروضي :

أرجو أن تأذنوا لي بهذا التصويب حول ما نشرتم للأستاذ خليل ابراهيم الخطيب عن (الخطأ العروضي الشائع) في العدد رقم ٧٢٥ من الرسالة الغراء ، فقد قال الأستاذ إن قصيدة الأستاذ مختار الوكيل التي مطلعها :

أخي قد شاء رب الكون أن يجمع قلبانا

قال الأستاذ إن هذا المطلع من بحر الهزج وإن البيت الذي يليه من مجزوء الوافر . والحقيقة هي غير ما بين الأستاذ الخطيب والقصيدة كلها من مجزوء الوافر الذي يجوز فيه تسكين اللام في (مفاعَلتن) فتكون (مفاعَلْتُن) كما ورد في قصيدة شاعر النيل حافظ ابراهيم التي مطلعها :

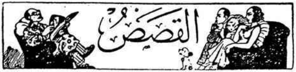
(سكتُّ فأصغروا أدبى) ومنها البيت الآتي :

فهبوا من مراقدكم فإن الوقت من ذهب

وعلى هذا لا يقال إن قصيدة حافظ خليط من الهزج والوافر بل هي كلها من مجزوء الوافر (مفاعلتُن مفاعلتَن) ويجوز فيه تسكين اللام — ولكم يا سيدي ألف شكر .

نظام مدني

(الرسالة) : مطلع القصيدة من بحر الهزج بدليل الكف وهو حذف السابع الساكن في التفعيلة الثالثة . ولم نر فيما قرأنا من الشعر الصحيح النقص في مفاعلتن وهو اجتماع العصب والكف : أي تسكين الخامس المتحرك وحذف السابع الساكن .



إليـــاس

« إلى الذين يجدون سعياً فى سبيل السعادة »

للكاتب الفيلسوف ليو تولستوى

بقلم الأستاذ مصطفى جميل مرسى

يحكى أنه كان يعيش فى بلدة « يافا Ufa » واحد من البشا كرة يدعى « إلياس » ··· قضى أبوه نحبه بعد أن متع ناظريه بزوجة ولده — دون أن يخلف له شيئاً من الأرض يأتى له بريع من الرزق يعيش هو وامرأته عليه . فلم يدع له سوى سبعة من الخيول والأفراس وبقرتين وعشرين رأساً من الغنم ···

فشمر إلياس عن ساعد الجد ··· وكان ماهراً فى رعاية الحيوان بارعاً فى تربيته ذا جلد ومثابرة ، فراح يتولى ماشيته بعنايته ، ويهيىء لها من المرعى والمأوى كل ما يدخل فى طوقه ···

وكان — هو وزوجته — يعملان سحابة يومهما وجنحاً من ليلهما ··· ينهضان على تبكير مع الفسق ··· وهما آخر من يأوى إلى مضجعه فى المشى . وأقاما على تلك الحال حتى بارك الله فى ما شيتهما ، وضاعفها . فزادت وتكاثرت عاماً إثر عام ، وأتيح لهما وفر فيما يملكان من ثروة ومال ···

وحينما وافت السنة الخامسة بعد الثلاثين على تمها صار لإلياس من الخيول مائتان ، ومن البقر مائة وخمسون ومن الغنم ألف ومائتان ...

فاستأجر رجالا يحملون عنه عِبءَ الرعى ويقومون على مؤونته ··· وأتى بأجيرات من النساء يحلبن له ماشيته ويمخضون ألبانها ويستخلصون منها الزبد والسمن والجبن « والكميس[1] »

فأيسر « إلياس » ··· وأخصب جانبه وأرغد عيشه ، وراح يعيش فى بلهنية ودعة ··· فعظم مقامه بين جيرته ، وذاع شأنه بين من يقطنون فى واديه . وأخذ كل امرىء يغبطه ويتحدث عنه — وفى نفسه حسد — « إن إلياس رجل بخيت ذو جد جلب عليه كل ما يراود أمل الإنسان من رغبات ··· فهو — دون ريب — سعيد بهذه الدنيا هانىء بها

تقاطرت على « إلياس » جموع الزوار من كل حدب ··· فكان يتلقى كل واحد منهم بالترحيب والتكريم ، وينحر لهم الخراف ويهيىء لهم موائد حافلة باللذيذ الفاخر من الطعام والشراب ويقدم له ما راق لهم من « الكميس » والشاى ···

كان لإلياس ولدان وبنت زوجهم جميعاً ··· وحينما كان فى أيام فقره وعسره كان هؤلاء الأبناء عونا لأبيهم فى رعاية قطمانه وحتى إذا ما زخرت خزائنه بالمال سرت إلى نفوسهم عوامل الفساد والتلف . فأقبل واحد منهم على الخمر يعب كؤوسها حتى يضل منه الوعى ويحمل مخموراً إلى داره . ولم يلبث أن قتل فى عراك بين أبناء الحى من ذوى النفوس الشريرة .

أما الآخر فقد تزوج بامرأة رقيعة خرقاء ، جعلت تسعى بالباطل بين الولد وأبيه حتى أوغرت نفسيهما وأضغنت قلبيهما . فافترقا بعد أن تخلى « إلياس » لإبنه عن جواد وقطيع من الغنم

لم ينقض حين على ذلك حتى تفشى المرض بين الماشية ، فأورد كثيراً منها مورد الهلاك والفناء ··· وساء الحصاد فى هذا العام ولم تأت الأرض إلا باليسير ··· فحصد الموت بعض ما تبقى من الجوع . ثم أغارت قبائل « القرغيز » على أملاك « إلياس » فاستحوذت على البقية الباقية من حيواناته ···

وبين ليلة وضحاها أصبح إلياس ، فإذا بأمواله قد عبثت بها يد الزمان ، وأدبرت عنه الدنيا وهى ساخرة فى حين ضعف فيه جسده ووهنت قواه ··· فباع أثاث داره ثم لم يلبث أن باعها هى الأخرى .

وبات هو وزوجته — وكانت تدعى «شام شماجى» — على الطوى وليس لهما من موئل يأويان إليه ، فقد رحل ولدهما وزوجته عن البلدة ، وماتت ابنتهما منذ زمن بعيد . فلم يجد الزوجان إلى جانبهما فى خريف العمر من يسمى عليهما بالقوت ···

(١) شراب روسي يتخذ من لبن الأفراس بعد أن يخمر حيناً .

وكان لهما جار يدعى « محمد شاه » ليس بالغنى وليس بالفقير بل يحيا حياة ذات رخاء ويسر ... فعطف عليهما ورحم كبرهما إذ كان ذا قلب يفيض بالحب وعروق تنبض بالرحمة . فطاف بعقله ما كان عليه « إلياس » من كرم وجود . فقال له : —

تعال وأقم معى يا إلياس أنت وزوجك العجوز ... وما عليك سوى أن تفلح حديقة البطيخ فى الصيف ، وفى الشتاء تطعم الماشية وترعاها ... إذا وسع مقدورك هذا !! أما زوجتك الفاضلة « شام شماجى » فسوف تحلب الأفراس وتستخرج لنا من ألبانها « كميسا » طيب المذاق بديع الصنع .

وسأهيء لكما من الملبس والطعام ماتقر به عيونكما وترومانه فإن أعوزتك حاجة بعد ذلك تخبرنى بأمرها ، وإنى لأعدك بأن أتيحها لك ما وجدت إلى ذلك سبيلا ...

أقبل « إلياس » وامرأته على العمل فى خدمة جارهما . ولملها صادفا فى أول الأمر صعوبة ، وشقت عليهما الخدمة . بيد أنهما لم يمكثا غير قليل حتى تعودا ذلك ، واستقر بهما المقام عنده يعملان له ما يسعهما ...

وقد كان يتسرب الألم والرثاء إلى قلب « محمد شاه » حينما يبصر بهما بعد غناهما العريض وعلو منزلتهما ، ينحدران إلى مثل هذه الحال . لقد حز فى نفسه هذا ولكنه أفاد منهما إذ أطلق لهما حرية الأمر، فلم يسعهما سوى أن يتفانيا فى خدمته بإخلاص وجد

وذات يوم نزل فى ضيافة « محمد شاه » نفر من ذوى قرابته وصديق له من رجال البحر فذبح «إلياس» لهم شاة وسلخها وبعد أن أنضجها على النار ، بعث بها إلى الأضياف فأكلوا منها ما طاب لأنفسهم ...

وبينما هم قعود على البسط الثمينة يتناقلون الحديث ويرشفون كؤوس «الكميس» مر بهم إلياس — وقد فرغ من عمله فلما أبصره « محمد شاه » قال لواحد من أضيافه : « هل لمح طرفك هذا الرجل الذى مر بنا منذ لحظات ؟ ! »

فأجابه الضيف فى عجب : « أجل . ! فما الذى يدعو إلى سؤالك هذا ؟ ! »

— « لقد كان أغنى إنسان فى هذه الناحية من الأرض ! . إنه يدعى إلياس . أما سمعت بذلك الاسم من قبل ؟ ! »

— « لقد طرقت سمعى أخبار عنه مؤكداً . . إنى لم أره قبل الآن ولكن شهرته ذاعت فى كل البقاع ! . »

— « هذا حق.. بيد أنه الآن صفر اليدين ذو متربة وعسر . فهو يقيم معى هنا يعمل فى أرضى ويرعى أغنامى ، أما زوجته فتحلب ماشيتى وأفراسى ! . . »

فأدرك الدهش ذلك الضيف ومط شفتيه وهز رأسه وهو يقول : « الأيام دول من سره زمن ساءته أزمان . فبين عشية وضحاها يصير المرء من أعلى عليين إلى أسفل سافلين !

هل ترى المصيبة تقض مضجع هـذا المسكين وتجعله يندب حظه على ماضاع من بين يديه ؟ ! »

— « ومن يدريك ؟ ! إنه يعيش فى هدوء وسكينة يحسن القيام بعمله » فعاد الضيف يقول : « بودى أن أتحدث إليه حيناً هو وزوجته ، أفيمكننى هذا ؟ »

— «ولم لا ؟ !» وراح السيد ينادى على إلياس : «ياأبت . هيا اشرب معنا قدحاً من الكميس . وادع زوجتك إلى هنا كذلك . »

فدلف إلياس مع زوجته إلى الحجرة ... وبعد أن ألقى تحيته على الأضياف جلس على قرب من الباب ، وراح يتمتم بصلات خفية فى صوت خفيض ... أما زوجته فتجاوزت المكان إلى ستر فى ركن منه حيث جلست خلفه مع سيدتها ...

وقدم « محمد شاه » إلى إلياس قدحاً من أقداح « الكميس » فتناوله ولسانه يلهج بعبارات الشكر والحمد ، وبعد أن تمنى للحاضرين صحة وعافية راح يترشفه على مهل ، ثم وضعه جانباً . فقال له الضيف الذى كان يروم رؤيته . « حسن يا أبتاه أحسب أن حديثنا سوف يثير فى نفسك لواعج الحزن والأسف ويبعث فى نفسك ذكرى ما كنت تتملكه من دور وضياع ومواش ذهبت هباء مع الريح .. لعلك آسف وضيق النفس بما أنت فيه الآن !

فوضحت على ثغر إلياس ابتسامة هادئة وقال فى صوت رزين « لو أنى أخبرتك ما هى السعادة ، وما هى عثرة الحظ ... لأثار ذلك دوافع الشك فى نفسك ! . فيحسن بك إذن أن تسأل زوجتى . فكل ما فى قلوب النساء يجرى طلقاً على ألسنتهن ... ولسوف تنبئك عن بينة بجلية الأمر ! . . »

فاستدار الضيف نحو الستار .. وهو يقول : « هلا تخبرينا يا جدتى العجوز ... كيف أن سعادتكم السابقة تقرن بما يكتنفكم الآن من بؤس وشقاء ؟ ؟ »

فارتفع صوت « شـام شماجي » مِن خلف الستار : هذا ما يدور بخلدى ! لقد عشت أنا وزوجى العجوز خمسين عاماً نسعى فى سبيل السعادة وننقب عنها ، فلم ندرك لها أثراً ... ولكنها الآن فى هاتين السنتين الأخيرتين — منذ أن ودعنا الغنى ورفعة الشأن ، وأصبحنا نعمل كأجيرين بلغنا السعادة وعرفناها على حقيقتها وصرنا ننعم بها كل صباح ومساء ... فلسنا نبغى أسعد من أيامنا هذه ! . »

فرانت الدهشة والعجب على وجوه الأضياف وكذلك صاحب الدار الذى قام فحسر الستار عن مكان المرأة العجوز وهى جالسة ، وقد عقدت يديها على صدرها وراحت تتبسم لزوجها فابتسم هو الآخر لها .

وبعد أن مضت برهة من الصمت تعلقت فيها الأنفاس عادت تقول فى صوتها الهادىء : « إنى لا أحدثكم بغير الحقيقة ... وما فى قولى مبالغة بل هو الحق الخالص ... لقد أبلينا ربع قرن من الزمن ونحن نسعى إلى السعادة ... وعلى قدر ما كنا أغنياء كانت محرمة علينا . أما الآن وقد صرنا أجيرين لا نملك من متاع الدنيا شيئاً أحسسنا بالسعادة التى لا نود بديلا منها ... »

فقال لها ذلك الضيف متسائلا : « بالله خبرينا ما هذه السعادة التى تشملك أنت وزوجك فى إعساركما بعد اليسر وإدبار الدنيا عنكما بعد إقبالها عليكما ؟ ! »

— « أصبت ! . حينما كنا أغنياء كان لدينا من المشاغل ما يصرفنا عن ائتناس الزوج بزوجته وتآلف روحينا . وعبادة الله عز وجل ... لقد كان الناس يفدون علينا فنسهر على خدمتهم وتوفير مايثلج قلوبهم خشية أن تتناولنا ألسنتهم بالسوء ويتحدثون عنا بما نكره ... فإذا ما رحلوا كان علينا أن نراقب عمالنا ومن يقومون على خدمتنا حتى لا تنزع بهم دوافع الشر إلى خيانتنا فيما نعهد به إليهم ...

كما أننا كنا نحاول أن ننقص أجورهم ونفيد منهم أكثر مما نستحق . فارتكبنا الخطيئة الأولى .

ثم إننا كنا — إذا ما جن الليل — نبيت ونحن أيقاظ خشية أن تفترس الذئاب والوحوش بعض الأغنام أو يعمد فريق من اللصوص إلى سرقتها فى غفلة من حراسها . وننهض بين حين وآخر لنطمئن عليها ... وغير ذلك مما كان ينشأ من المشاكل ، ثم أضف إلى ذلك ما كان ينشب بينى وبين زوجى من شجار ونزاع ... فهو يريد شيئاً وأنا أود ما هو ضده فنخطىء ثانية ...

وهكذا كنا لا نكاد نتجاوز صعوبة حتى نقابل أخرى ... ونستدبر خطيئة حتى نواجه ثانية فمشنا لا نجد إلى السعادة سبيلا ! »

— « حسن .. والآن ! . »

— « الآن .. حينما أفيق أنا وزوجى « العزيز » فى الصباح بعد نوم هادىء مطمئن لا ينغصه الخوف ولا الفزع .. نتبادل كلمات الحب وعبارات الود ... وبدأنا نحيا فى هدوء وسلام لا تعكر صفوه تلك الأسباب التى كانت تثير النزاع والشقاق بيننا .

ليس علينا من واجب سوى خدمة ذلك السيد الكريم الذى أحسن إلينا ... فنحن نتفانى فى العمل لصالحه ... حتى لا يحس فى وجودنا مضرة به أو ثقلا عليه ... ونتناول غداءنا هنيئاً مع أكواب « الكميس » ... وقد توفرت لدينا الأخشاب التى نطعمها النار ونستمتع بدفئها إذا ما اشتدت وطأة البرد ويأتينا سيدنا بالثياب ذات الفراء التى تعوزنا .

أما الوقت فقد بتنا نجد فيه ما يتسع لحديث كل منا إلى الآخر فى ود .. و .. غزل .. فنفكر فى أنفسنا ونتعبد متقربين إلى الله نسأله الصفح والغفران عما ارتكبناه من الخطيئات .. نعم لقد سعينا خمسين عاماً فى سبيل السعادة فلم نجدها إلا الآن ! . »

فضحك الأضياف .. ولكن إلياس ما لبث أن قال لهم فى صوت ذى جرس هادىء ، وإن شاعت فيه رنة العتاب :

« ليس ثمت مجال للضحك ! . أيها الرفاق .. فليس هذا الحديث مثاراً للضحك والهزل .. بل عبرة وعظة .. إنها حقيقة الحياة .. لم ندركها إلا حينما توج رأسينا المشيب ..

لقد كنا نحن كذلك سخفاء وحمقى حينما بكينا طويلا على ما ضاع منا من ثروة وعلو شأن ... ولكن الله — تعالت قدرته هدانا الآن إلى الحقيقة .. فما أجلها وما أجلها ..

إنا لا نذكر هذه الحقيقة لكم ابتغاء السلوى والعزاء لنا ولكن نجلوها على أسماعكم لهدايتكم وخيركم ! . »

فقال « الملاح » وقد اغرورقت عيناه بالدموع : « إنك لعلى حق يا إلياس .. إنه حديث الحكمة والموعظة .. وقد جاء ذكره فى الكتب المقدسة التى نزلها الله ليهدى بها عباده .. »

وأمسك الأضياف عن الضحك . واستغرقوا فى فكر عميق .

(القاهرة) **مصطفى جميل مرسى**

مطبعة الرسالة